الجانب التوعوي والتربوي في القاعدة التمهيدية للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وفق منظور الشريعة الإسلامية

المدرس الدكتور
فاطمة يونس قنبر
كلية الشيخ الطوسي الجامعة
fatima.younes@altoosi.edu.iq

The awareness and educational aspect of the introductory rule of Imam Mahdi (peace be upon him) According to the perspective of Islamic Sharia

Lecturer Dr.
Fatima Younis Qanbar
Sheikh Al-Tusi University College

الملخص:

لقد أكد الاسلام بصورة وافرة على الجانب التوعوي والتربوي للدين الاسلامي لما له من تأثير فعال في مجال تنمية وتوعية الجانب التربوي الاخلاقي والاصلاح البناء في المجتمع على نحو العموم والفرد على نحو الخصوص، حيث ان سبب تشقق النسيج الاجتماعي وتفكك الروابط الانسانية هو قلة تفعيل وتفكيك الروابط الانسانية هو قلة تفعيل دور هذا الجانب المهم الذي يساهم في التقدم المعرفي والبناء الحضاري لما له من وازع مباشر على تكامل الوعي الانساني والذي بدوره يقوم بتغيير مسار الحياة ويدعم في ايثاق حلقات القاعدة التمهيدية للإمام المهدي عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: الجانب، التفكر، السنن، التمهيدي، مفاهيم، التحديات، المباشر، إلهية، الاصلاح.

Abstract:

Islam has emphasized abundantly on the educational and awareness aspect of the Islamic religion because of its effective influence in the field of development and awareness of the moral educational aspect and constructive reform in society in general and the individual in particular, as the reason for the cracking of the social fabric and the disintegration of human bonds is the lack of activation and dismantling of human ties It is the lack of activation of the role of this important aspect that contributes to knowledge progress and civilizational construction because of its direct impact on the integration of human consciousness, which in turn changes the course of life and supports in establishing the introductory base episodes of Imam al-Mahdi (may God bless him and grant him peace)

Keywords: Aspect, reflection, Sunan, preliminary, concepts, challenges, direct, divine, reform.

المقدمة:

يعتبر دين الإسلام الحنيف هو المعيار الأسنى والثروة الكبرى للبشرية جمعاء في وفرة المنظومات الأخلاقية التربوية الناضجة التي تؤتي أُكُلها في كل حين، فتتربع بين ثنايا الشريعة الغرّاء نماذج من درر ومعطيات أخلاقية متعددة شأنها أن ترفد وتماسك بين أواصر المجتمع الإنساني، وتشدّ بأياديه وتسعى إلى تفانيه في أن نكون أمة واحدة متماسكة، لا شأن فيها لتواجد أي ثغرات ومنعطفات صراعية، تحيل دون وحدتها وتكاملها، وذلك بإضفاء طابع حس الجماعة وثقافة جديدة قائمة على أساسيات الشريعة ومقوماتها في بناء الإنسان، ومما له من تأثير مباشر على توطيد الأرضية المتينة الممهدة للإمام المهدي (ﷺ).

وقد أكد الإسلام - بصورة بالغة - على ضروريات الجانب الأخلاقي التربوي والآداب الإجتماعية، لما لها من تأثير كبير في مجال بناء الدولة وتقدمها، وخلود حضارتها، كالبناء المرصوص، لأن سبب تفكك الروابط الإجتماعية والتنامي المعرفي والتقدم المستمر هو قلة توفر التوعيات التربوية والأخلاقية في أساسياتها، مما أدى إلى وجود الضغائن والأحقاد والتطرف، وسحق حقوق الضعفاء والمظلومين، الذي يؤدي بحد ذاته إلى إضطراب وخلل في المنظومات السياسية والفكرية، ونشوء ثورات وويلات تنخب وحدة التكامل الإنساني.

ولاسيما وإن الله تعالى قد جعل الهدف والغاية من بعثه الرسول الكريم ﷺ هو إتمام مكارم الأخلاق، وتطبيقها في رحاب المنظومة الإنسانية، قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١]. يا لها من آفاق عظيمة تنطوي بين ثنايا هذا الحديث المبارك: ((إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق))[٢].

المبحث الأول

الجانب التوعوي والأخلاقي في الشريعة الإسلامية

- السمات التوعوية والتربوية في شخصية الرسول ﷺ

إن شخصية الرسول الأكرم ﷺ ليست آية عصر ولا جيل ولا أمة ولا مذهب ولا بيئة فحسب، إنها آية كونية للناس والأجيال كافة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٣]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾[٤]. وإلى جانب الإعجاز الأدبي الأخلاقي والبياني والبلاغي والعلمي والتشريعي، نجد تجليات الإعجاز الأخلاقي وانطباعه على شخص الرسول محمد ﷺ.

ومن قمة هذا الهرم التربوي الأخلاقي السامي، تتفرع الآيات والأحاديث التربوية في الميدان الأخلاقي التي لها سلطان روحي في قلوب المؤمنين، المتمثلة بالآيات الإرشادية من رب الرحمة(جلّ وعلا)، وما أرسل به البشير النذير الحبيب محمد صلى الله عليه وآله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، (٥) ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، (٦) ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧).

الآيات المباركة - السابقة - تستعرض أرقى أنواع الرحمة الإلهية التي هي من لدن رحمته التي وسعت كل شيء، وقد تجلّت بدائع خلقه في أخلاق ورأفة قلب الحبيب محمد صلى الله عليه وآله التي نفتقرها الآن، مما أدّى إلى تدهور الأوضاع الفكرية والإجتماعية التي تنتج عن غياب ذلك الإنقسام الفئوي والتحزب السياسي والقيمي حتى في البنيان الذاتي للإنسان. واليوم تستهدف بعض الأنظمة والسياسيات أهدافاً سياسية وفكرية ضد مقومات الدين، لخلق واصطناع مقومات وأهداف ومباديء غريبة عن الإسلام، وفق الإطار الديني، مما أدى إلى التدمير والقتل والإغتيال ضمن دائرة التغير والتصحيح العقائدي المصطنع، وما هو إلا وسيلة هدّامة هادفة لأبعاد محسوبة عدوانياً، مما أثر في تماسك المجتمع الإنساني. وعادات بعض المجتمعات بعيدة عن المنهج الإلهي، حيث قضى الله تعالى بالتراحم والتسامح والتآلف بين القلوب لنكون ﴿بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾. ويتصدر الموقف القيادي لكل دور في المجتمع في تعاليم هذه الآية المباركة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٨)، حيث تركز الآية المباركة على عدة محاور وركائز أساسية في المجتمع القيادي عامة، والإجتماعي خاصة، ومنها:

التأكيد على الرحمة في أساس التعامل الإنساني، ولاسيما القيادي، حيث أن إنعدام وجودها ﴿لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، ليس على التأثير الفردي فحسب بل على التأثير الجمعي، حيث أنه صلى الله عليه وآله القدوة والأسوة الحسنة وحامل التعاليم الإلهية والإرشادية الضخمة، فلابد من

الإنضمام حوله ونشر معارفه وشريعته وسياسته، كل ذلك عن طريق (الرحمة).

- ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾.
- ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.
- ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.
- ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

فهذه عدة تعليمات تحتوي على برامج كلية وأساسية، فهي من حيث النزول، ترتبط بواقعة (أُحُد). بعد رجوع المسلمين من (أُحُد) أحاط الأشخاص برسول الله صلى الله عليه وآله - الذين فرّوا من المعركة - وأظهروا الندامة من موقفهم، وطلبوا منه العفو... فتناثرت الدرر الرحمانية على وحي رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه المزايا التعاملية الأخلاقية الرائعة، ألا وهي اللين والرحمة، حتى مع المقصرين الفارين بعد الندامة.

ثم إنه سبحانه يأمر نبيه الحبيب صلى الله عليه وآله بأن يعفو عنهم، إذ يقول: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ بأن يتجاوز عنهم ويشفع لهم، وأن يتنازل عن حقه له، إذ تفرقوا عنه في أضنك الظروف. وبعد ذلك العفو، أمر الله تعالى حبيبه المصطفى أن يشاورهم في الأمر. ومن ذلك نجد جنبة روحية أخلاقية لبناء شخصيتهم النادمة والمقصرة من جديد، وعدم إيذائهم كسائر البشر بالحقد والثأر والحيف، ولجعل هذا النظام دارجاً ومسايراً لمشاريعهم المستقبلية.

وننتقل إيجازاً وانتقاءً للهدف البحثي للآية الأخرى التي فيها تكملة للدور القيادي لكل مفاصل وأدوار المجتمع الإنساني، وليس على المستوى القيادي وحسب، بل لجميع منظومات المجتمع، إبتداءً من الأسرة إلى القيادة الكبرى.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٩]، "وهذه الآية المباركة تبين لجميع الناس - سواء المؤمنون منهم أو الكافرون والمنافقون - إن جميع الضغوط والتكاليف التي فرضها النبي صلى الله عليه وآله من القرآن الكريم، والتي ذُكرت نماذج منها في هذه الآية، كانت كلها بسبب عشق النبي صلى الله عليه وآله لهداية الناس وتربيتهم وتكاملهم"[١٠].

"ومن جهة أخرى إنها تخبر النبي صلى الله عليه وآله أن لا يقلق ولا يتحرق لعصيان وتمرد الناس.. إن

الله حافظه ومعينه"[١١] "ومن هنا "فأن خطاب الآية الأولى موجّه للناس، فهي تقول ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾، خاصة وقد وردت لفظة ﴿مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ بدل (منكم)، وهي تشير إلى شدة إرتباط النبي صلى الله عليه وآله بالناس، حتى كأنه قطعة من روح الناس والمجتمع قد ظهرت بشكل النبي صلى الله عليه وآله"[١٢].

ومن ثم أشارت الآية إلى أربع ميزات من صفات النبي صلى الله عليه وآله السامية التي هي بمثابة القيم العالية التي ينبغي توفرها في المستوى الريادي لأغلب المستويات متعددة الأصناف منها:

- ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، أي إنه يؤذيه ما يؤذيهم ويتألم لألمهم، ويتحمل المصاعب والحروب لتخليصهم من الإستبداد والظلم.
- ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾، الحرص في اللغة[١٣]: يأتي بصفة قوة وشدة العلاقة بالشيء، أي شدّة حب ورحمة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله لكل المؤمنين ولكل خير من نصر وتوفيق وعزّة.
- ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، وهاتان صفتان، يبدو أن أفضل تفسير[١٤] لهما هو أن الرؤوف إشارة إلى محبه خاصة في حق المطيعين، في حين الرحيم إشارة إلى الرحمة إتجاه العاصين. وهاتان الصفتان يجب أن تتوفرا في سمات القيادة وعلى كافة الأصعدة.
- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ...﴾، أي لا حصن لك إلا الله، وهو الحصن التام إن عصاك الناس، وقل ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، أي توكل ولا تأخذ طابع الإنتقام والإبادة الجماعية ونشر العناصر الكيدية للأخذ بالثأر ولمن تولوا عنك، بل توكل على الله تعالى، وهو الكافي والحصن العظيم لكل مؤمن.

ونسأل الله العلي القدير أن ينصرنا ويثبت أقدامنا، وأن يعجل علينا نصره المبين لكل مجاهد على سوح القتال، ويجعلنا نطبّق هذه التعاليم المباركة التي هي قطرة من بحر مكنون المعاني السامية للآيات المباركة في القرآن الكريم، وذلك للتمهيد لظهور الإمام المغَيَّب(عليه السلام) الناصر لمن لا يجد له ناصراً غير الله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾[١٥].

وقد حثّت عدة روايات على الإنصاف وحُسن الخلق وجمال السيرة، وسنختار بعض

النماذج منها:

عن ابن فضال قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ((ما التقت فئتان قط إلا نصر أعظمها عفواً))[١٦].

وعن محمد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((عليكم بمكارم الأخلاق، فإن ربي بعثني بها، وإن من مكارم الأخلاق أن يعفو الرجل عمّن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويَصِلْ من قطعه، وأن يعود من لا يعوده))[١٧].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إن الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح))[١٨].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: ((إن لربكم في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها، فإن التعرّض لها إنما هو بتطهير القلوب من الكدورات الحاصلة عن الأخلاق الرديئة، فكل إقبال على طاعة وإعراض عن سيئة يوجب جلاة ونوراً للقلب ويستعد به لإفاضة علم يقيني، ولذا قال سبحانه ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا . .﴾[١٩]))[٢٠].

وقال صلى الله عليه وآله: ((من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم)). فالقلب إذا صفى عن الكدورات الطبيعية بالكلية، يظهر له من المزايا الإلهية، والفيوضات الرحمانية ما لا يكن لأعاظم العلماء، كما قال سيد الرسل صلى الله عليه وآله: ((إن لي حالات لا يتحملها مَلَك مقرّب ولا نبيّ مُرسَل))[٢١].

العلم والتفكر:

هناك عدة محاور فكرية وأخلاقية إلتفت إليها الشارع المقدس، مقتفياً سيرة ومنهاج الرسول المصطفى محمد صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام في مجال الواقع الإجتماعي في سبيل النهوض في المستوى التربوي العقائدي، نختار منها بعض النماذج:

من المتفق عليه علمياً وثقافياً ما للعلم من أهمية بالغة في سمو ورفعة جميع المجتمعات البشرية، حيث السلاح أو الدرع الواقي أمام جميع الإشكالات والشبهات والمغالطات الفكرية التي يثيرها متصنعو الدين، أو من كانت وراءهم أجندات مقصودة، غايتها زرع

الشك والفتنة بين المجتمعات الإسلامية عامة، والشيعية خاصة، ولاسيما ما يخص قضايا الظهور المهدوي المقدس، وما يتبعه من إرشادات وتهيئات، وقوة ناهضة لنصرته، والإمتثال الطوعي والقلبي بين يديه.. فإن عدم وجود العلم أو نقصه سيؤدي حتماً بالشخصية الإنسانية إلى الإرباك فكرياً وعقائدياً، حيث تكون أرضية المخزون العلمي هشة أو بدعة مضطربة عند اصطدامها بأقل شبهة أو بدعة مفتعلة، ولاسيما إنتشار الغزو الثقافي والمعلوماتي متعدد الطرق والأنواع.

فلابد للمنتظر أن يحترز بالحصانة الفكرية الرصينة، حتى لا يكون عرضة إلى الشباك العنكبوتية التي تدبّ دبيب النمل كي تتوغل بين ركائز وثوابت بعض البشر، دون أن يشعر بها.

"إعلم أن العلم من أفضل الكمالات وأعظم الفضائل، لأنه من أشرف الأحياء الإلهية وصفات الموجود بما هو موجود، وقد انتظم ببركة العلم نظام الوجود وطراز الغيب والشهود، وكل موجود يكون تحققه بهذه الحقيقة الشريفة أكثر، ولذلك الخلو من كل حقيقة العلم خلوة من كل حقيقة الوجود، والخالي من معدوم مطلق"(٢٢).

وسنستعرض بعض النماذج الدالة على فضائل العلم من الكتاب والسنّة الشريفة لشرف مقامه ومكانته، كالتالي:

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾(٢٣)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢٤).

وقوله تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...﴾(٢٥).

وقوله تعالى: ﴿... وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...﴾(٢٦).

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٢٧).

وقوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾(٢٨).

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: ((فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة))[٢٩].

وعنه صلى الله عليه وآله قال: ((من لم يصبر على ذل التعلم ساعة باقي في ذل الجهل أبداً))[٣٠].

وعنه صلى الله عليه وآله قال: ((إذا جاء الموت لطالب العلم وهو على هذه الحالة مات وهو شهيد))[٣١].

وعنه صلى الله عليه وآله قال لأبي ذر: ((جلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله تعالى من قيام ألف ليلة، وأحب لي في كل ليلة يصلي في كل ليلة ألف ركعة، وأحب إليّ من ألف غزوة.. ومن خرج يلتمس باباً من العلم كتب الله عز وجل له بكل قدم ثواب نبي من الأنبياء، وثواب ألف شهيد من شهداء بدر، وأعطاه الله بكل حرف يسمع أو يكتب مدينة في الجنة، وطالب العلم يحبه الله وتحبه الملائكة والنبيين، ولا يحب العلم إلا السعيد، وطوبى لطالب العلم... ولا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر ويأكل من ثمار الجنة، ولا يأكل الدود جسده، ويكون في الجنة رفيق الخضر عليه السلام))[٣٢].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: ((لو علم الناس ما في طلب العلم، لكتب ولو بسفك المُهج وخوض اللُّجج)).[٣٣]

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((لوددت أن أصحابي ضُربت رؤوسهم بالصياد حتى يتفقهوا)).[٣٤]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((إذا مات مؤمن وترك ورقة واحدة عليها علم، تكون تلك الورقة ستراً بينه وبين النار، وأعطاه الله بكل حرف عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات)).[٣٥]

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطلب العلم رضا به، فإنه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض، حتى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر))[٣٦].

التفكر:

وما أسمى العلم إذا كان مصحوباً بالتفكر والتدبر، حيث هو باب من أبواب إنفتاح التغيير والصلاح، كما تجلت آفاق معرفية كبيرة بفضل التفكر المؤدي إلى معرفة حقائق الأمور.

وإن توفر العلم بدون تفكر وتدبر يؤدي بذلك العلم إلى النقصان وعدم ترسيخ معالمه في الأذهان.

(والتفكر هو سير الباطن من المبادئ إلى المقاصد. والمباديء هي آيات الآفاق والأنفس. والمقصد، وهو الوصول إلى معرفة وجودها ومبدعها، والعلم بقدرته القاهرة وعظمته الباهرة، ولا يكن لأحد أن يرتقي من حضيض النقصان إلى أوج الكمال. وإلا بهذا السير... وهو شبكة المعارف الحقيقية، به تنكشف ظلمة الجهل وأستاره، وتجلي أنوار العلم وأسراره)[٣٧].

وقد دلت آيات متعددة في هذا المجال المذكور، منها:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ...﴾[٣٨].

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾[٣٩].

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤٠].

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤١].

فعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها الناس إنكم في دار هدنة، وأنتم على سفر، والسير بكم سير، وقد رأيت الليل والنهار والشمس والقمر يُبليان كل جديد ويُقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فأعدّوا الجهاز لبعد المجاز. قال فقام المقداد بن الأسود، فقال: يا رسول الله وما دار الهدنة؟ قال: دار بلاغ القطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليك بالقرآن، فإنه شافع مشفّع وماحِلٌ

مُصَدّق، ومن جعله إمامه قاده إلى الجنة، وهو الدليل على خير سبيل، وكتاب فيه تفصيل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم، وعلى نجومه نجوم لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودليل المعرفة... فإن التفكر حياة البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص قلة التربص))[٤٢].

فقد تمثل الرسول صلى الله عليه وآله في هذا الحديث أن التفكر كحياة قلب البصير والمستنير في الظلمات بالنور، وهذا خير مثال لمعاني وأبعاد التفكر لإحياء روح البصيرة والنور من جهل الظلمات.

عن النبي صلى الله عليه وآله: ((يا علي، نوم العالم أفضل من ألف ركعة يصليها العابد، يا علي لا فقر أشد من الجهل، ولا عبادة مثل التفكر)).[٤٣]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((لا علم كالتفكر ولا شرف كالعلم)).[٤٤]

وهذه نماذج من قصص قرآنية مختارة لأخذ العبر، تألقوا في صفحات القيم والمباديء، فكان منطلق ذلك الخلود والتسديد الرباني هو (التفكر). حينما يكون الإنسان في مفترق الطرق، وفي حيرة من أمره بين الحق والباطل في التفكر في عواقب الأمور وخواتيمها في رضا الله تعالى أولاً.

والتفكر في النتائج والجزاء ثانياً، في هذا الأمر ليس سيحصد الإنسان ما يجنيه وما يختاره من منهج آخرته، فأما شاكراً وأما كفورا.

ومن ذلك المنطلق نستعرض بعض ما حدث من حكم ومعطيات لأصحاب الكهف:

فهم قوم عاشوا قبل ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ذكرهم الله عز وجل في القرآن الكريم وخصهم بسورة إهتماماً بشأنهم وتثميناً لإيمانهم، وهو القائل: ﴿... أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ...﴾[٤٥].

وأصحاب الكهف[٤٦] عددهم ستة كانوا وزراء (دقيانوس)،[٤٧] يجلسون عن يمينه وشماله، وكان من عاداتهم أن يتناولوا عشاءهم في كل ليلة عند واحد منهم، وكان أحدهم تلميخا بمثابة رئيس الوزراء. وفي ليلة كانوا فيها عند (تلميخا) وقدم لهم العشاء وأبى أن

يأكل معهم! تلوح على أساريره الكآبة والحزن، وبعد الإلحاح والرجاء أن يخبرهم عن السبب، وبعد الجد في التفكر، قال: (أنا وإياكم في أسفل درك من النار، لأننا الممهدين لأعمال دقيانوس - مع ادّعائه الإلوهية - فلعل بعض الناس يؤمنون به بسببنا! ويقول في نفسه: لو كان دقيانوس على ضلال لما تعاون معه هؤلاء الفتية!

فقالوا بأجمعهم: يا تلميخا، ما في نفسك هو أيضاً يكمن في نفوسنا، وقد تنغصتْ علينا حياتنا، فما الذي تراه في الخروج من هذا المنعطف الخطير؟

قال تلميخا: أرى أن نخرج في هذا الليل هرباً بديننا، تاركين ما نحن فيه من عز وسلطان! وحتى الملابس يجب أن نخلعها ونلبس ثياب الفقراء، فخرج بهم وكله شوق ووثوق بالله تعالى.

إن نفحات الإيمان غمرتهم، فلم يبالوا بخطورة الموقف، فكانت النتيجة أن الله نصرهم وأيدهم برعايته الرحمانية، وكان لها شأن عظيم في القرآن الكريم، حيث سميت إحدى سوره بسورة الكهف، تخليداً لموقفهم المدعم بالتفكر والتدبر في تحليل وتفسير عواقب الأمور.

إن موقفهم هذا يشبه تماماً موقف السحرة مع فرعون، حين ميّزوا الحق وآمنوا به. وفي تأريخنا الإسلامي موقف مشرف لجماعة من أنصار الحق، شبيه بالمواقف المسندة بالعلم والتفكر، إنه في صعيد كربلاء. إن نفحات الهداية الإلهية عندما تشع على فرد أو جماعة يهون عندها الموت في سبيل الحق والإصلاح.

ففي ليلة عاشوراء يقول مسلم بن عوسجة الأسدي رضي الله عنه للإمام الحسين عليه السلام - وقد أذن لهم بالإنصراف وأن يتركوه لوحده: (أنحن نتخلى عنك؟ وبم نعتذر إلى الله في أداء حقك؟ أما والله أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي... والله لو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به، لقذفتم بالحجارة، والله لا نخليك حتى يعلم الله أنّا قد حفظنا عيبة رسوله فيك، أما والله لو علمتُ أنّي أُقتل ثم أحيا ثم أُحرق ثم أُذرى، ويُفعل بي ذلك سبعين مرة، ما فارقتك حتى ألقى حِمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً)[٤٨].

وقام زهير بن لقين البجلي ﷺ وقال: (والله لوددت إن قُتلتُ ثم نُشرتُ، ثم قُتلتُ، حتى أُقتل ألف مرة، وإن الله(ﷻ) يدفع فعل ذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك)[٤٩].

فهؤلاء الأنصار هم قدوة وأسوة لأنصار الإمام المهدي(ﷺ) الذين يجب أن يتسلحوا بسلاح العلم والمعرفة والتفكر التغييري إلى الهداية والصلاح، هم الذين أناروا بصيرتهم بالتفكر الجلي والمعارف العلمية التي تجعله أن يميزوا بين الحق والباطل وتعطيهم الحصانة من الالتباس الفكري والشبهات المبهمة مما يؤدي إلى أن يكونوا ممهدين مصطفين من خيرة الذين اختارهم الله تعالى وآل بيته الأطهار عليهم السلام.

حقوق الإنسان بين المساواة وإقامة العدل

من المتفق عليه كلياً إن ما في التشريع الحقوقي الإسلامي من تفوق تنظيمي في موافقة رؤاه الفكرية والإجتماعية لحقوق الإنسان الشاملة، حيث نجد هناك آيات قرآنية وأحاديث شريفة تؤكد إسهام الإسلام في هذا المجال، الذي كان من أهم البنى الرصينة لمقومات الشريعة الإسلامية التي تحرص على الحفاظ على كرامة الإنسان والمساواة بين أفراد الجنس البشري، والقدرة على إحتواء الفئوية والتعددية في المجتمع الإسلامي، وتقنين الحريات وإقامة العدل، كل ذلك يُعتبر من أبجديات النظام الإسلامي السامي. ومن هذه المختارات الإسلامية الغراء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٥٠].

حيث أن البشرية - بكافة أبعادها وألوانها وأطيافها المتعددة - أرشدها الله تعالى إلى التضامن والمساواة والحفاظ على كرامة الإنسان، وأن لا كرمة للإنسان إلا بالتقوى.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[٥١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٥٢].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٥٣).

ما أروع معالم ومعطيات هذه الآيات الكريمة، وهي ترتدي ثوب القداسة التي تترصع فيها عدالة الله الرحمانية من احترام الحقوق ونشر العدل إن طُبّقت!

حيث أن الإسلام دين عالمي، مازال منذ نشوئه المبارك، يعيش في مجتمعات متعددة الأطياف والثقافات المتعددة، لا يفرق بين إنسان وآخر، ولا بين عربي وأعجمي، حيث أكد ذلك ﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ...﴾(٥٤).

وبهذا فإن الإسلام يضع أسس المساواة بين أبناء الأمة، وهذا أساس الحريات العامة، وهدفها الغائي. وله الشأن والفضل الكبير في تحرير العبيد ووضع حد لتجارة الرق، بينما نجد الدول الغربية وأنظمتها الإقطاعية والإستعمارية تستمر في إستغلال الشعوب الضعيفة في أفريقيا وآسيا، وحتى أواخر القرن التاسع عشر، فقد بنوا تقدمهم وتطورهم على حساب حرية ودماء ملايين العبيد الذين كانوا يساقون كقطعان الماشية. فقد جاء القرآن الكريم:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾(٥٥).

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٥٦).

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ...﴾.(٥٧)

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.(٥٨)

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾(٥٩).

﴿... أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾(٦٠).

وغيرها من الحقوق المتعددة التي لا تكفي آلاف الكتب من استيفاء أو احتواء أبعادها ومضامينها الرحيبة السمحاء، حتى في مجال التعامل مع المشركين، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾.(٦١) يبيّن الله تعالى أن عليك التعامل بلطف ورفق، وأن تمنح له مجالاً للتفكير، حتى تبين له محتوى دعوتك في كمال الإرادة والحرية. فإذا أشرقت أنوار الهداية في قلوبهم فسيؤمنون بدعوتك. ثم تضيف الآية قائلة ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ وأوصله إلى مكان آمن، لا يتعرضه أحد في طريقه. وأخيراً فإن الآية تبيّن عليه هذا الحكم، فتقول ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

أين نحن من هذه التعاليم الربانية المباركة!؟ إين نحن وكل منا يدور في دائرة الإستقلالية الفئوية التي غرستها لنا مكائد الدول الإستعمارية ونحن لا ندري! ولاسيما إنّا في دين واحد وهدف واحد! هذه نتيجة الهجمات الفكرية والتخطيط المسبق من الدول الغربية الظالمة التي تهدف إلى إلغاء الثقافة الإسلامية في البلدان التي تغزوها لإقامة ثقافة بديلة عنها، والولاء للدولة التي تغزوها حتى تستفحل في السيطرة الكاملة لعقول وغايات المجتمع المعاصر. فقد أنشأ اللورد كرومر - في مصر - (كلية فكتوريا)، وقد قال اللورد لويد عن طلاب هذه الكلية: (كل هؤلاء لا يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية.. فيصيروا قادرين على فهم أساليبنا ويعطفوا علينا... وحتى يتسنى للجمهور أن يعرف هذه الكلية أكثر مما عرف في الماضي، ينتبه الآباء إلى تعليم أولادهم فيها ينمّى فيهم من الشعور الإنكليزي ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرق والغرب)(٦٢).

وغيره من المخططات. إن الفكر الإستعماري يؤدي وظيفته بصورة مدروسة، حيث يسعى إلى صياغة العالم الإسلامي كما يتمنون، من نفث سمومهم في داخله، من تغيير معالم ومعطيات الإسلام الناصع.

والحديث عن الغزو الثقافي طويل، تعرضنا إليه بصورة عامة، حيث نكمل بعض أساسيات بناء المساواة والعدل وإيتاء الحقوق، حيث أن من مسببات التفرقة وضرم نيران الحقد والضغينة، هو عدم المساواة بين الحقوق، ولاسيما وأنه من الثغرات المهمة التي تدخل من خلالها المكائد والفتن، بل وحتى الثورات المتتالية والحروب.

وقد أوضح الإمام علي عليه السلام أهمية رعاية المواطنين الضعفاء والمساواة بينهم في عهده إلى مالك الأشتر - حين ولاه مصر - بشكل تأكيدي، حيث ركز على الفقراء والمحتاجين، لأنهم من الطبقة المضطهدة في أغلب منظمات الشعوب، حيث قال: ((الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، والمساكين المحتاجين وأهل البؤس[٦٣] الزمني[٦٤]، فإنه في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً، واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه، ولا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تُعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعّر خدك لهم، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم، ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال))[٦٥].

ما أروع هذه الرسالة البلاغية الراقية، التي لو طُبقت لتآخى وتودد جميع من في الأرض، من مشارقها إلى مغاربها مع بعضهم البعض. فهي من كتبه ورسائله التي أرسلها للأشتر النخعي، لمّا ولاّه على مصر وإعمالها، حين اضطرب أمر أميرها، محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد كتبه وجمعه للمحاسن، (وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان، إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق.. فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم ووالي الأمر عليم فوقك، والله فوق من والاك، وقد استكفاك أمرهم.. ولا تقولنّ إني مؤمر فأطاع، فإن ذلك إدغال في القلب ومنكهة الدين، وتقرب للغير)[٦٦].

إنها كلمات علوية غراء، خطَّتها أنامل العدالة العالمية، نُحتت بصفحات الخلود الأرضي، حتى اعتلت لمقامات الملكوت السماوي، تنظر إلى العالم المتجافي بعيني اللوم والتأسف بلوعة الحزن والشجى على ما يجري من جور في أرض هذا العالم الغريب، وهو ينعى في وليجة نفسه حرقة وعتب من ظلامة الناس بعضها مع بعض، وكم بلّغوا أهل البيت والرحمة عليهم السلام من عهد الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وآله إلى آخر عهد الأئمة عليهم السلام يبتغون نشر العدل والقسط والمساواة والرحمة بين أبناء المجتمعات المتعددة، فضلاً عن المجتمع الواحد!!

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.[٦٧]

فعن النبي صلى الله عليه وآله: ((قليل الحق يدفع كثير الباطل، كما أن قليل من النار يحرق كثيراً من

الحطب))[٦٨].

وعنه صلى الله عليه وآله: ((أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر))[٦٩].

وعن الإمام علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا...﴾،[٧٠] نزلت في أهل العدل والتواضع من الولاة، وأهل القدرة من سائر الناس[٧١].

وعن الحميري عن أبيه عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام أن علياً عليه السلام قال: ((إن في جهنم رحى تطحن، أفلا تسألوني ما طحنها؟)) فقيل له: وما طحنها يا أمير المؤمنين؟ قال: ((العلماء الفجرة، والقرّاء الفسقة، والجبابرة الظلمة، والوزراء الخونة، والعرفاء الكذبة..))[٧٢].

وعن محمد بن الحسن، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عمرو بن عثمان التميمي، قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام على أصحابه وهم يتذاكرون المروءة، فقال لهم: ((أين أنتم من كتاب الله؟)) قالوا: يا أمير المؤمنين في أي موضع؟ قال: ((في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ فالعدل: الإنصاف، والإحسان: التفضل))[٧٣].

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((ثلاثة هم أقرب إلى الله(عز وجل) يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يده، ورجل مشى بين إثنين، فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة، ورجل قال بالحق في ماله وعليه))[٧٤].

وعن تفسير العياشي: عن جابر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ...﴾؟[٧٥] فقال: ((هم أولياء فلان وفلان وفلان اتخذوهم أئمة دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً، فلذلك قال الله تعالى: ﴿...وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾))،[٧٦] قال: ثم قال أبو جعفر عليه السلام: ((هم والله يا جابر أئمة الظلم وأتباعهم))[٧٧].

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً لغيره))(٧٨).

المبحث الثاني

السنن والقوانين الإلهية وفاعلية دور الإنسان والمجتمع فيها

تعتبر أفعال الإنسان المحور الأساسي، والموجّه الرئيسي لحتمية ومصير حياته، بل مكانته، وسمو مقامه في الحياة الآخرة، حيث أن لكل فعل أثره، وللآثار آثار أخرى مرتبة ومحسوبة عليه: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾،(٧٩) تارة، ومن حيث الرقابة الإلهية والملائكة المطيعين تارة أخرى. ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٨٠).

وهذه الأفعال المرتبة على كل فرد منا، والتي بأجمعها، ومع انضمامها مع بعضها البعض، تمثل النسيج الإجتماعي والتكويني عند التوسع كأمم، هي أيضاً لها نتائج ومؤثرات متعاقبة من الأسرة حتى المجتمع، كتأثير ومؤثر متفاعلان كخط مستقيم بين نقطتين تبدأ بالفرد وتنتهي بالمجتمع. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، هناك تأثير من جانب الفرد، ومن مرونة الأحداث المترتبة على أفعاله، ومن أفعال المجتمع أيضاً ومدى تسلسل تأثيرهما بمسار الأحداث مرة أخرى.

وأطلقت عليها مرونة ومسار الأحداث لأنها قابلة للتغير والإتساع والإنقباض الجزائي المطابق لأفعال الإنسان. كل هذه الأمور تنساب متجمعة في بؤرة

مفهوم من مفاهيم القدرة الإلهية المستوحاة من الآيتين الكريمتين: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ...﴾.(٨١) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٨٢).

ومن المتوقع تحليلاً بأن جميع الأحداث التي نمر بها اليوم، ولا يعرف البعض كنهها، وكل الأزمات والإضطرابات السياسية والإجتماعية التي تضعف منها الحيل، هي من مفهوم: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ...﴾(٨٣)، فالتغيير لا يبدأ من القاعدة إلى قمة الهرم فحسب! بل الأهم أن يبدأ من القمة إلى القاعدة. أي قضية الهرم العكسي، لأن

القمة هي القدوة المتسلطة على الرعية، وما على القاعدة - أو المواطنين - سوى الإمتثال والطاعة التي غالباً ما يكون لها القبول القهري، وأن تكمل مجراها متمتمة بالويل والثبور إن كانت جائرة ومتسلطة مما يولد الكبت الاجتماعي.

وهذا الكبت الإجتماعي - بحد ذاته- هو المسبب الرئيسي لإطلاق وتوالي الثورات والتظاهرات في كل أنواعها.

ومن جانب آخر، إن التأثير والمؤثر من فعل الإنسان وتأثيره بالمجتمع، فهو المحرك والدافع التغييري في بناء القاعدة المثلى التي تؤثر بدورها، وتقدم وتؤخر في علامات الظهور المقدس.

ويعجب المتأمل في زحمة الأحداث الزمنية أن أغلب الناس يهتمون بعلامات ووقتية الظهور، ولا يبالون إلى الأمر الأهم، وهو تنمية وبناء أنفسنا وذاتنا، كي نكون حلقات متماسكة في سبيل تحقيق وتسهيل علامات الظهور المهدوي والفتح المبين.

فنأتي إلى بيان معنى السنن لغةً واصطلاحاً:

نجد أغلب معاجم اللغة العربية(٨٤) تأتي السنّة بمعنى الطريقة أو النهج. نهج سنّته: طريقته، شأنه.

سر على سنّتك، أي على طريقك. على نهجك: على وجهتك. ويقال هذه سنّة الله، أي أمره ونهيه.

وتأتي إصطلاحاً:

السنّة: "هي الطريقة المجعولة ليقتدى بها، ومن ذلك سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله. قال لبيد: من معشر سَنَّتْ لهم آباؤهم ولكلٍّ قومٍ سنَّةُ(٨٥)

والسنّة: "هي الطريقة المعمولة التي تجري بطبعها غالباً أو دائماً"(٨٦).

"وهي القوانين الإلهية الثابتة أو الأساسية، سواء كانت التكوينية منها، أم التشريعية، التي لا تتغير مطلقاً"(٨٧).

وقد بيّن الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وآله الطيبين عليهم السلام إلى تتابع السنن الإلهية، وإنها

جارية كما جرت على الذين من قبلنا في العِبَر والإتعاض. فنحن أمة إسلامية تمثل حلقة في سلسلة الأمم الدينية، وإن عصرنا الحاضر تجري عليه السنن والقوانين الإلهية، كما في الروايات الآتية:

"حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران رضي الله عنه قال: حدثنا موسى بن عبد الله الكوفي قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي.. عن أبي بصير قال: سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: ((إن سنن الأنبياء عليهم السلام بما وقع بهم من الغيبيات حادثة في القائم منا أهل البيت حذو النعل بالنعل والقذة[٨٨] بالقذة))"[٨٩].

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة))".[٩٠]

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة))"[٩١].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((في القائم سنّة من موسى، وسنة من يوسف، وسنّة من عيسى، وسنّة من محمد صلى الله عليه وآله، أما سنّة موسى فخائف يترقب، وأما سنّة يوسف فإن إخوته كانوا يبايعونه ويخاطبونه ولا يعرفونه، وأما سنّة عيسى فيقال أنه مات، وأمّا سنّة محمد صلى الله عليه وآله فالسيف))[٩٢].

حدّثنا المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي رضي الله عنه قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مسعود عن... حدثنا عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ((إن في صاحب هذا الأمر سنن من الأنبياء عليهم السلام سنّة من موسى بن عمران، وسنّة عيسى، وسنة من يوسف، وسنّة من محمد صلى الله عليه وآله، فأما سنّة موسى بن عمران فخائف يترقب، وأما سنّة من عيسى فيقال فيه ما قيل في عيسى، وأما سنّة يوسف فالستر يجعل الله بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولا يعرفونه، وأما سنّة من محمد صلى الله عليه وآله، يهتدي بهداه ويسير بسيرته))[٩٣].

وفي الحديث في باب ما جاء عن الإمام الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمة عليهم السلام والرد على الغلاة والمفوضة.

حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي رضي الله عنه قال: حدثني أبي قال: حدثنا أحمد بن علي

الأنصاري عن الحسن بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده علي بن موسى الرضا عليه السلام وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام.. فقال المأمون: فما تقول في الرجعة؟ فقال الرضا عليه السلام: ((إنها لحقّ، لقد كانت في الأمم السالفة، ونطق بها القرآن، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة))"[٩٤].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٩٥].

أي لو أنهم سلكوا سبيل الإيمان والتقوى بدل الطغيان والتمرد وتكذيب آيات الله والظلم والفساد، لم يتخلصوا من غضب الله وعقوبته وحسب، بل لفُتحت عليهم أبواب السماء والأرض. لكنهم كذبوا آيات ودلائل الأنبياء ودعواتهم وبرامجهم الإصلاحية ومناهجهم الأخلاقية والتربوية، فعاقبناهم (بسبب أعمالهم).

﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (فبما كانوا يكسبون)، هو المسبب الرئيسي والمؤثر الفعلي للبشر. فكان التأثير الجزائي (فأخذناهم) فينزل عليهم البلاء السماوي والأرضي، وربما تشتعل نيران الحروب، وقد يكون نقص الأمن والإستقرار، فتسحق المخاوف أبدانهم ونفوسهم، وحسب تعبير القرآن يكون كل ذلك بما كسبت أيديهم وأعمالهم، وإن فتح السماء والأرض مشروطة بأنهم لو آمنوا واتقوا، ولكن للأسف تركوا الصراط المستقيم الذي هو طريق السعادة[٩٦].

﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا * لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[٩٧].

- (أنْ) مخففة من الثقيلة، والمراد بالطريقة طريقة الإسلام، والإستقامة عليها لزومها والثبات على ما نقتضيه من الإيمان بالله وآياته. والماء الغدق: الكثير منه، ولا يبعد أن يُستفاد من السياق من قوله تعالى: ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾، مَثَل أريد به التوسعة في الرزق، ويؤيده قوله بعده ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنمتحنهم رزقهم[٩٨].

ولنستعرض إستنتاج مواضيع مهمة للعِبَر والمقاصد التربوية لمدى فاعلية الإنسان ودوره

في بناء وتغيير المجتمع الإنساني السامي، والتي بدورها تثبت الثوابت الرصينة للقاعدة المهدوية، من خلال استعراض بعض المفاهيم التربوية من القوانين والسنن الإلهية في القرآن الكريم.

- معرفة وتشخيص الحق من الباطل وإيجاد رؤية واضحة ذات بصيرة واعية ضد الأوهام والشبهات.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.(٩٩)

وذلك أن التقوى الدينية إنما تحصل بالتبصر في المناهي الإلهية، والورع عن محارمه بالتعقل والتذكر. وبعبارة أخرى بالإلتزام بالفطرة الإنسانية التي بُني عليها الدين، فقد قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(٧)فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(٨)﴾(١٠٠).

وقد وعد الله تعالى المتقين، إن اتقوا يُمددهم بما يتضح به سبيلهم، ويفرق به بين الحق والباطل عندهم، فقال: ﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.(١٠١) وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا...﴾،(١٠٢) فهو على صراط التقوى مادام ملازماً لطريق التعقل والتذكر.(١٠٣)

"وكلمة (الفرقان) هي صيغة مبالغة من مادة (فرق) وهي بمعنى الشيء الذي يفصل بين الحق والباطل تماماً"(١٠٤).

وما أحوج المجتمع اليوم لفرقان يفصل بين الحق والباطل في زمن كثرت فيه البِدَع والشبهات والأقاويل الضعيفة.

فقد بيّنت الآية واحدة من أهم المسائل المهمة والمؤثرة في مصير الإنسان، وهي أن درب الإنسان نحو النصر محفوف دائماً بالمصاعب والحُفر، فإذا لم يبصرها جيداً ويُحسن معرفتها وانتقائها فسيسقط فيها لا محالة.

والمهم هو معرفة الحق والباطل، والحسن والقبيح، معرفة الصديق والعدو. فإذا استطاع معرفة هذه الحقائق جيداً فسيسهل عليه الوصول إلى الهدف(١٠٥).

ونستطيع أن نستثمر من آفاق هذه الآية المباركة أن التقوى هي السبيل الأمثل لمعرفة وتمييز الحق من الباطل.

إضافة إلى ذلك أن قوة ووعي وإدراك الإنسان، الناتج من قوة تعقله وخبرته في تقييم الأمور، من خلال خلفيته العلمية، واطلاعه على مجريات الأحداث، والقدر الكافي على التخلص من غشاوة وظلمة الذنوب والشوائب المظلمة التي تجعل على الإنسان حجاباً يحجبه عن معرفة الحق والبصيرة الثاقبة، فإنه كلما اقترب من الله تعالى زادت بصيرته ومعرفته بحقائق الأمور.

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[١٠٦].

أي ما كان ليدعكم - أيها المؤمنون بالله ورسوله العاملون بشرعه - على ما أنتم عليه من إلتباس المؤمن منكم بالمنافق، حتى يُميّز الخبيث من الطيب، فيُعرف المنافق من المؤمن الصادق. وما كان من حكمة الله أن يُطلعكم على الغيب الذي يعلمه عن عباده، فتعرف المؤمن من الكافر، ولكنه يميزهم بالمحن والإبتلاء. غير أن الله تعالى يصطفي من رسله من يشاء ليُطلعه على بعض علم الغيب بوحي منه، فآمنوا بالله ورسوله وبمنهجه القويم (وإن تؤمنوا إيماناً صادقاً وتتقوا فلكم أجر عظيم عند الله ويهديكم إلى سبيل الحق والفتح المبين)[١٠٧].

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)﴾[١٠٨].

الإستعداد لمواجهة التحديات والمشاق والمصاعب:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[١٠٩].

قال بعض المفسرين أن هذه الآية نزلت في المهاجرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله في المدينة، "إذ تركوا ديارهم وأموالهم ومسهم الضر، ثم ذكر سبحانه ما جرى على المؤمنين من الأمم الخالية تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، فيما نالهم من المشركين وأمثالهم"[١١٠].

والبأساء: هي شدة البؤس المتوجهة إلى الإنسان في خارج نفسه، كالمال والجاه والأهل والأمن الذي يحتاج إليه في حياته[١١١].

أما الضراء، فهي الشدة التي تصيب الإنسان في نفسه، كالجرح والقتل والمرض والزلزلة، والزلزال بمعنى عثر. كررت اللفظة للدلالة على التكرار، كأن المرض مثلاً تحدث عثرة بعد عثرة، وهو كصر وصرصر، وصل وصلصل.. والزلزال كناية عن الإضطراب والإندهاش[١١٢].

يبدو من الآية الكريمة أن جماعة من المسلمين كانت ترى أن إظهار الإيمان وحده كافٍ لدخولهم الجنة! ذلك أنهم لم يوطّنوا أنفسهم على تحمل المصاعب والمشاق، ضانّين أنه سبحانه هو الكفيل بإصلاح أمرهم ودفع شر أعدائهم عنهم.

وتشير الآية المباركة إلى أن هناك سنّة إلهية مستمرة في الحياة، وهي أن جميع المؤمنين ينبغي أن يمهّدوا ويُعِدّوا أنفسهم لمواجهة الصعوبات والإبتلاءات على طريق الإيمان، ويكون ذلك إمتحان واختبار لهم، وهذا القانون عام سرى وجرى على كل الأمم السابقة، فكل الأمم ينبغي أن تمرّ في أفران الأحداث القاسية، للتخلص من الشوائب، كما يُخلّص الحديد في الفرن ليتحول إلى فولاذ أكثر مقاومة وأصلب عوداً[١١٣].

ومن الواضح أن قول ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ عند الصعوبات ليس إعتراضاً على المشيئة الإلهية، بل هو نوع من الطلب والدعاء، وتأتي الإجابة الرحمانية من الرب الجليل بعد صبرهم وتكاتفهم، وبعد التوكل على الحي القيوم ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾،[١١٤] وهي تنذر المؤمنين في جميع الأزمنة والإعصار، إنه ينبغي عليهم - لنَيْل النصر والتوفيق - لابد أن يضحّوا ويصبروا ويتهيأ وا لتحمل كامل الأثقال الدنيوية، وما هذه الإبتلاءات إلا ترويض كمالي وتربوي إلى جميع البشر.

ويبين المفسرون بأن عبارة ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ تقول للمسلمين: "إنكم لستم الوحيدين في هذا الطريق الذي ابتليتم بالمصاعب من قِبل الأعداء، بل إن الأقوام السالفة ابتُلوا أيضاً بهذه الشدائد والمصائب، إلى درجة أنه مسّتهم البأساء والضراء حتى استغاثوا منها"[١١٥].

"ويستنكر عليهم أن يأملوا في أن يكون لهم إستثناء من سنّة التاريخ، هل تطمعون في أن يكون لكم إستثناء من سنّة التأريخ أن تدخلوا الجنة، وأن تحققوا النصر وأنتم لم تعيشوا ما عاشته تلك الأمم التي انتصرت ودخلت الجنة من ظروف البأساء والضراء التي تصل إلى حد الزلزال، كما عبّر عنه القرآن الكريم"[١١٦].

"إن هذه الحالات، حالات البأساء والضراء - التي تتعمق عل مستوى الزلزال - هي في الحقيقة مدرسة للأمة: هي إمتحان لإرادة الأمة، لصمودها أو لثباتها، لكي تستطيع - بالتدريج - أن تكتسب القدرة على أن تكون أمة وسطاً في الناس"[١١٧].

التحذير من المنافقين واقتلاع جذور الشائعات والفساد:

﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾[١١٨].

تناولت الآية الكريمة منحىً من مناحي أساليب أصحاب النفوس الضعيفة في مجال الإيذاء وتفرقة المسلمين من حيث يشككوهم في عقيدتهم، وكانوا يخبرون المؤمنين بما يسؤهم من عدوهم، كانوا يقولون قد قُتلوا وهُزموا.

"وقال ابن عباس: الأرجاف إلتماس الفتنة، والأرحاف: إشاعة الكذب والباطل للإغتمام به. وقيل لتحريك القلوب يقال: رجفت الأرض - أي تحركت وتزلزلت - ترجف رجفاً، والرجفان: الإضطراب الشديد، والرجّاف: البحر، سمي به لإضطرابه"[١١٩].

ونغرينك: من مادة الإغراء، ويعني الدعوة إلى تنفيذ عمل، أو تعلم شيء، دعوة تقترن بالترغيب والتحريض[١٢٠].

ويستفاد من سياق الآية أن ثلاث فئات في المدينة كانت منشغلة في أعمال التخريب والهدم، فظهر ذلك كتيار ومخطط جماعي، ولم تكن له صيغة فردية[١٢١].

الفئة الأولى: هم (المنافقون) الذين كانوا يسعون على إقتلاع جذور الإسلام عبر مؤامراتهم ضده.

الفئة الثانية: (الأراذل) الذين يعبر عنهم القرآن ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾.

والثالثة: هم الذين كانوا يبثون الإشاعات في المدينة، وخاصة عندما كان النبي صلى الله عليه وآله وجيش المسلمين يتجهون إلى الغزوات، لإضعاف معنوياتهم، وكانوا ينشرون الأخبار الكاذبة عن هزيمة النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين.

ويحتمل في تفسير الآية أيضاً، إن كل أعمال التخريب للفئات الثلاث كانت من عمل المنافقين، لأن أجملها فيهم وأوصلها في الفئات الثلاث، وقد هدد القرآن الكريم هؤلاء إن لم ينتهوا من أعمالهم الرذيلة، فبوحدة المسلمين وتكاتفهم لا يقدرون على البقاء في المدينة، ويخرجون من حمايتها.

وسوف لا يجدون مكاناً آمناً بعد الهجوم عليهم، وسوف تُسحب الحماية والحصانة منهم، سواء بقوا أم لم يبقوا.

وهذه وإن الآيات كانت تتحدث عن المنافقين والذين في قلوبهم مرض من الغدر والخيانة في عصر النزول فحسب، فهي تشمل كل المنافقين على مر العصور، لأن تيار النفاق يقف دائماً أمام كل إصلاح ووحدة وتغيير، ثم تختم الآية الكريمة بـ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾.

أيا مؤمنين إن هذه سنّة الله ونهجه القويم، وما جرى عليهم سيجري علينا كما جرى على أمم من قبلكم.

﴿. . .وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾، إن كانت مثل هذه الفئات، فمن المحذور على مستقبل الأمة أن تتفكك أنظمتها ويتفرق شملها وتُدمّر أرضيتها، فلابد من القضاء عليهم وتشخيصهم، فعند معرفة الداء يوجد الدواء، والتنبيه لأمرهم المدسوس، ويجب إخراجهم من المناطق الآمنة، كي لا يتسرب نفوذهم على الباقين ويتأثرون فيهم، حيث نجد أن هذه المجاميع الخبيثة لها جذور في التأريخ، فيجب أن يُحتاط وينتبه المؤمنون لذلك، حفاظاً على تماسكهم ووحدتهم ونصرهم.

توفر الإخلاص لله تعالى وجزاء الله المخلصين بالنصر والثبات كما جرى على السابقين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ

أَعْمَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾[١٢٢].

تشهد هذه الآية المباركة بالجزاء المقترن بالعمل، أو بالسعي الجاد في تحقيق ذلك النصر المدعوم بالنيات الخالصة لله تعالى.

"فيها تحضيض لهم على الجهاد ووعدهم بالنصر إن نصروا الله تعالى، فالمراد بنصرهم أن يجاهدوا في سبيل الله، على أن يقاتلوا لوجه الله تعالى تأييداً لدينه وإعلاء لكلمة الحق، ولا يستعلوا في الأرض ليصيبوا غنيمة، أو ليظهروا نجدة أو شجاعة"[١٢٣].

وتحث على توفير النية الخالصة لله تعالى، المحفوفة بالسعي الجاد لنصرة دينه، وإعلاء كلمته.

"والمراد بنصر الله لهم وتوفيقه توفر الأسباب المقتضية لظهورهم وغلبتهم على عدوهم، كإلقاء الرعب في قلوب الكفار، وربط جأش المؤمنين، وتشجيعهم وعلى هذا، عطف تثبيت الأقدام على النصر من عطف الخاص على العام، وتخصيص تثبيت الأقدام، وهو كناية عن التشجيع وتقوية القلوب"[١٢٤].

وقال تعالى في مجال جزاء الكافرين: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩)﴾[١٢٥].

قال ابن عباس: "يريد في الدنيا العسرة، وفي الآخرة التردي في النار. التعسّر: الإنحطاط والعثار والأتعاس والأزلال والإدحاض، بمعنى العثار الذي لا يستقل صاحبه، فإذا سقط الساقط أريد به الإنتعاش والإستقامة"[١٢٦].

ونبّه الله تعالى على سبيل الدليل والتأكيد على عاقبة هؤلاء الكافرين بقوله(ﷻ): ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ...﴾.[١٢٧] حيث أرفدهم بالأنبياء، النبي تلو الآخر، بالدعوة والحجة البالغة، في حين لم يؤازروه ويتتبعوه بالطاعة والتأييد، فستكون عاقبتهم إلى السوء بإحباط أعمالهم، ويدمرهم الله تعالى. وبيّن الله تعالى أن للكافرين بك يا محمد أمثالها من سوء العواقب ونزول العذاب المنصب عليه، ويستدرجهم

من حيث لا يعلمون: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ *﴾[١٢٨].

فحيثية الجهاد تحتاج إلى الصبر وسعة الصدر ورباطة الجأش، حيث الكرّ والفرّ وقوة العزم. فلا تيأسوا أيها المؤمنون، فمازال نصركم لله عالى يتقد في صدوركم الغراء، فسينصركم الله تعالى ويثبت أقدامكم، ولا تكونوا كالذين قال الله عنهم في الآية الكريمة ﴿فَتَعْساً لَهُمْ﴾ حيث كرهوا ما أنزل الله بهم فأحبط أعمالهم فإن نصر الله قريب.

تجنب الإتكاء على المراكز العلمية واتباع الهوى:

إن ما يثير الخشية والحيرة على البعض ممن تسنموا المناصب العلمية، بمختلف أصنافها ومراتبها، أن يصيبهم الإغتراء والعجب بمخزونهم العلمي والمركزي، غافلين عم مكائد الشيطان الخفية التي تعسعس على أهوائهم وهم لا يشعرون، من حيث الإعتقاد الكافي، بأنهم بلغوا الذروة، وهم في غنى عن ابتلاءات الحياة وحبائلها الدنيوية، لذلك على المرء أن يكون رقيباً حسيباً على أفعاله ومكاسبه العلمية، بأن لا يساوم عليها لأي شأن كان، من حيث الإكتفاء بالحاصل واجتناب المحذور الزائل. وترى كأن العالم في سباق مستمر على غنائم الحياة الفانية، ولاسيما التسلق على رؤوس المساكين والضعفاء في سبيل الوصول إلى الغايات الواهنة، وتركوا - جانباً - المسارعة إلى ما أوصى الله تعالى به في قوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[١٢٩].

وفي محضر هذا الحديث نتطرق إلى شخصية كانت في صف المؤمنين، حاملة العلوم الإلهية، فوسوس إليه الشيطان - بعد أن كان آيساً منه - لشدة قوته ومكانته العلمية والعرفانية القيّمة، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٣٠].

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي على بني إسرائيل أو على الناس خبراً عن أمر عظيم، وهو نبأ الرجل ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ وكشفان لباطنه عن علائم وآثار إلهية عظام، بها يتنور له الحق لأمر ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ ورفضها بعد لزومها ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ فلم يقو على إنجاء نفسه من الهلاك ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾أي لو شئنا لرفعناه بتلك الآيات وقربناه إلينا، لأن في القرب إلى الله تعالى إرتفاعاً عن حضيض هذه الدنيا[١٣١].

وفي تفسير القمي: إن قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ﴾ قال: حدثني أبي عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: أعطي بلعم بن باعوراء الإسم الأعظم، وكان يدعو به فيستجيب له، فمال إلى فرعون، فلما أمر فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون لبلعم: أدع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمر في طلب موسى فامتنعت عليه حمارته، فأقبل يضربها فأنطقها الله(عز وجل) فقالت: ويلك على ماذا تضربني؟ أتريد أن أجيء معك لتدعو على نبي الله وقوم مؤمنين؟ ولم يزل يضربها حتى قتلها، فانسلخ الإسم من لسانه، وهو قوله: "فانسلخ الإسم منه"[١٣٢].

وتُعدّ هذه القضية أنموذجاً لرجل كان مع صف المؤمنين وحاملاً للعلوم الإلهية والآيات، إلاّ أنه مالَ وانحرف عن نهجه، هذا الذي اغترّ وتمادى به، "إن الآيات والعلوم الإلهية كانت تحيط به إحاطة الجلد بالبدن، إلاّ أنه خرج منها على حين غرّة واستدار إلى الوراء وغيّر مسيره بسرعة"[١٣٣].

إن الشيطان(لعنه الله) كان يتربص حين وجده مفعماً بالآيات والعلوم الكثيرة، فتتبعه حتى صار من الضالّين، إلاّ أن إكراه الناس وإجبارهم على أن يسلكوا سبيل الحق لا ينسجم والسنن الإلهية وحرية الإرادة، ولا يكون ذلك دليل عن عُلى عظمة الشخص، لهذا تضيف الآية – مباشرة – بأن تركناه وهُداه، وبدلاً من أن ينتفع من معارفه، فإنه هوى وانحطّ و﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[١٣٤].

"فجملة ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ تفيد اللصوق الدائم بالأرض، وهي كناية عن عالم المادة

وبهارجها واللذائذ غير المشروعة للحياة المادية".[١٣٥]

فقوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾.[١٣٦] أي كالكلب المتعطش عطشاً شديداً وراء ملذات الدنيا، حيث أنه لا يشبع من إشباع الرغبات واتّباع الهوى. ثم تبيّن الآية الكريمة أمراً ضرورياً من هذا المثل القرآني بأنه لا يتعلق بفرد معين، وإنما ﴿. . .ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[١٣٧]

أي إنها ستجري أبعادها على كل من اتّصف بهذه الصفات، فإنه ستصيبه عواقب الأمور بما حدث من عبرة من قصص الأقوام السابقين.

ـ ظهور الإمام المهدي(عليه السلام) تحقيق لفرج الله تعالى على المستضعفين:

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[١٣٨].

في هذه الآية المباركة، تأكيد على المؤمنين بأن يدركوا بأن الظالمين القساة مهما تعاظمت قواهم وتنوعت قدراتهم، في دائرة حفظ ورقابة الله تعالى، وعنايته، فلا يأس ولا ضعف أمام توفيق الله تعالى وحلول فرجه القريب.

الله تعالى الذي حفظ موسى عليه السلام بعد ما كان في دياجي أمواج النيل - وهو طفل رضيع - ثم أوصله إلى مكانة النبوة بعد ما كان محكوماً فأصبح حاكماً بأمر الله تعالى. والذي نجّى يوسف عليه السلام وهو يتأوه ويتقلب حسيراً ما بين ظلمتي البئر والسجن، حتى أوصله الباري إلى أن يكون عزيز مصر. وقصص الأنبياء متعددة مخطوطة بين ثنايا آيات القرآن الكريم.

وفي بيان الآيتين:

إن فرعون يريد هلاك بني إسرائيل وإفناءهم، ونحن نريد أن نمنّ عليهم و(نجعلهم أئمة) أي قادة ورؤساء في الخير، يُقتدى بهم. فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها[١٣٩] عطف الضروس[١٤٠] على وُلدها،.. وتلا عقيب ذلك ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾))[١٤١].

وقال سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام: ((والذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، إن الأبرار منّا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته، وإن عدوّنا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه))[١٤٢].

وعن الحسين بن محمد القطعي، عن علي بن حاتم.. عن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾: ((هم آل محمد يبعث الله إلى مهديهم بعد جهدهم فيُعزُّهم ويُذلُّ عدوَّهم))[١٤٣].

وفي مجال مضمون الآية الكريمة: "إن فرعون قد استبدّ في طغيانه وجبروته، فقد استخدم عدة سُبُل في سبيل السيطرة والإستعباد، حين أراد التفريق بين أهل مصر، وجعل أهلها شيعاً، وهي سياسة معروفة ومتبعة على امتداد التأريخ".[١٤٤] وعليه يستند المستكبرون في حكمهم، فلا يمكن أن تحكم الأقلية الأكثرية، ويخافون من توحد الناس بعضهم حول بعض. لذلك لجأوا إلى الطبقية في الحكم، كما صنع فرعون في أهل مصر، وصنعه فراعنة مصر في كل عصر، وكان يستضعف أهل مصر بشكل إرهابي، كما هو اليوم ﴿... يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ...﴾[١٤٥].

فقد قتل حتى الرضع الأطفال الذكور من بني إسرائيل، خوفاً من تسلط ومواجهة بني إسرائيل لفرعون، ويحاربوه، إضافة لاستحياء النساء ليخدمن في بيوت الأقباط، وغيرها من المفاسد التي لا حصر لها. لقد كان يضنّ - هو وحاشيته الطاغية - أنه سيقف بوجه إرادة الله تعالى. وقد بشّر الله تعالى - بلطفه وعنايته - بأن من شأن الرحمة واليسر بعد العسر، أن يفتح على المستضعفين أبواب الخلاص والفلاح بحلول الفرج ﴿... وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾، وبحلول فرج محمد وآل محمد على يد الإمام القائم(عليه السلام). فكما بيّنا مسبقاً بأن هناك تشابه متلازم بين العصور والمواقف.

"ونلاحظ أن في هاتين الآيتين التأكيد على المستقبل، قد لا تجد في القرآن الكريم كله آية مشابهة لهاتين الآيتين. من هذه الجهة، حيث بلغ عدد أفعال المستقبل فيها - على قصرهما - ستة أفعال، وهي (ونريد، أن نمنّ، ونجعلهم أئمة، ونجعلهم الوارثين، ونمكّن لهم، ونُري)،

وما هذا التكرار في إستعمال صيغة المستقبل، إلا للتأكيد على أن هذا الفعل سيقع في المستقبل، كما وقع في الماضي بعد نصر النبي موسى عليه السلام على هيمنة واستكبار فرعون"[١٤٦].

و"ليس المهدي تجسيداً للعقيدة الإسلامية ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوان لطموح إتجهت إليه البشرية بمخلف أديانها ومذاهبها وصياغة الإلهام الفطري أدرك الناس من خلاله - على الرغم من تنوع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب - أن للإنسانية يوم موعود على الأرض، تتحقق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير"،[١٤٧] "لأن اليوم الموعود يثبت أن بإمكان العدل أن يواجه عالماً مليئاً بالظلم والجور، فيزعزع ما فيه من أركان الظلم، ويقيم بناءه من جديد، وإن للظلم - مهما تجبر وامتد في أرجاء العالم وسيطر على مقدراته - فهو حالة غير طبيعية، ولابد أن ينهزم، وتلك الهزيمة الكبرى المحتومة للظلم، وهو في قمة مجده، تضع الأمل الكبير أمام كل فرد مظلوم، وكل أمة مظلومة، في القدرة على تغيير الميزان وإعادة البناء"[١٤٨].

المبحث الثالث

نظرات معاصرة في الواقع الإجتماعي وكيفية طرح الحلول المقترحة إليها

سنستعرض بعض النظرات الإجتماعية المستوحاة من واقع أحداث متسلسلة على مر الأزمان، سايرت سنين خلت وعاصرها الحاضرون، ولكن دون مراجعة ووعي تأريخي سنني نستنبط منه الحلول والنتائج المنسجمة مع سيوسولوجية التمهيد المهدوي الأصيل. "إن قضية المهدي هي نوع من الإستعادة للتأريخ الإسلامي منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله، الذي بشّر بظهور المهدي، وإتصالاً بأحاديث الأئمة"[١٤٩] ومن ثم إعادة أيديولوجيا التنظيم الشامل لكل معاني الوحدة والتكامل الإنساني بكل أبعاده بنظرات توعوية ناهضة، ومنها:

- إنهيار التنظيم القيادي بتهافت وحدة القاعدة الرصينة. إن كل قيادة - مهما كانت تتحلى به من صفات جوهرية من تعدد الكفاءات ورقي المنهج - لا يمكن أن تتقدم وتصل إلى ما تصبو إليه، ما لم تربط نسيجها الإجتماعي بمختلف مذاهبه وحدة الهدف والطموح. وإلا فما نتيجة وجود قائد واعٍ ومتكامل الأدوار النهوضية بدون توفر وحدة إجتماعية تتّصف بالإمثال والطاعة لتلك القيادة أولاً، وبدون إكتمال مرتكزات التكامل والتنمية الذاتية الإنسانية، كي تتبلور الأهداف في سبيل تحقيقها. فعلى سبيل المثال، هذه الآية

المباركة، وما فيها من معطيات توعوية ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾.[١٥٠] فعن جابر بن عبد الله الأنصاري، حين وصف حالة المقاتلين والمجتمع آنذاك، قال: (فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا والكتائب شدّت علينا شدة رجل واحد، وانهزم الناس أجمعون)[١٥١].

حيث يذكر التأريخ أنه لم يبلغ منهم - بعد كثرتهم وتكاثرهم - إلا بعدد أصابع اليدين،[١٥٢] ورسول الله ﷺ يناديهم: ((أيها الناس، هلمّ إليّ أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله)) قال جابر: (ولا إسجابة لأحد).[١٥٣] فينبغي على القاعدة الإجتماعية أن تتحلى بقوة الإيمان، وأن لا يحجبها التعلق بالمال والوُلد والأرواح، كما ضعف من كان في الآية السابقة، وأن يتوفر فيهم عنصرا الإخلاص والإيثار وبصورة جلية. عليهم أن يواصلوا طريقهم، لأن الله تعالى لم يتخلّ عنهم يوم كانوا قلّة، كما هو الحال في معركة بدر، ولا يوم كانوا كثرة ملء العين، كما في معركة حنين، فقد فرّ كثيرٌ من المسلمين في ذلك اليوم، لكونهم لم تكتمل في أنفسهم مسؤولية التمهيد الإيماني والعقائدي، والترويض النفسي لمثل هكذا مَواطن ومواجهات، فانكسر جيش المسلمين في البداية، وكاد العدو أن يغلبهم، لولا أن الله تعالى أنزل بعنايته ولطفه ونصره، فنجّاهم.

"والحقيقة، إن السبب المهم في هزيمة المسلمين - بادي الأمر - بالإضافة إلى غرورهم لكثرتهم، هو وجود ألفي شخص ممن أسلم حديثاً، وكان فيهم جماعة من المنافقين - طبعاً - وآخرون كانوا بلا هدف، فأثّر هؤلاء في بقية الجيش".[١٥٤] حيث كانت النتيجة النهائية لمعركة حنين الحاسمة في نهاية الآية ﴿...وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[١٥٥].

إن رسول الله ﷺ أطلق هذه البذرة وأراد لها أن تنمو لكي يستثمرها الإمام القائم من آل محمد(عليهم السلام)، أي بذرة المشروع المهدوي المبارك.

التحرر من الظواهر الغريبة عن الشريعة ومن اختلافات الدين الإسلامي:

وهي ظواهر تثير الكراهية والأحقاد التي توصل إلى تحزب وتكتل بعض الفئات المجتمعية على حساب الأخرى، مما يفكك حلقات تماسك النسيج الإجتماعي التي أنهكت تماسكه وتلاحمه، آفة المصالح والأنانية والعداء الذاتي المحتقن. ومما يزيد من الوضع إستياءً

إذا صدرت هذه الظواهر من النخب وأصحاب النفوذ والمراكز، ومن هذه الظواهر:

- إزدواجية الشخصية، وهي تناقض الحكم والآراء المضادة بعضها لبعض، طبقاً لنوايا مقصودة تنطوي تحت طياتها منافع خاصة مدروسة، بحيث يتعايش البعض بوجهين مختلفين في ذات الوقت، والتي يترتب على هذه الحالة الكثير من المظاهر السلبية إنعدام الثقة، ويصعب على المجتمع اتّباع المنهج السليم للتعامل مع هكذا صفات مذمومة من عدم اتخاذ القرارات الصائبة، ويكون الشخص فيها مخالفاً لوعوده، ومختلفاً في مواقفه وآرائه، مما يُضعف التعاضد والوحدة الإنسانية، ويؤدي إلى التنافر فيما بينهم.
- حب التفرد والتسقيط الهدام، مقابل النقد البنّاء لتكامل الإنسان.
- غلبة عنصر التلقين الفكري واستبداد الرأي عوضاً عن الإهتمام بتقدير الآراء المطروحة - مطابقة كانت أو مخالفة - حتى وإن اصطدم بالمصالح الشخصية.
- التكتلات الفئوية بأواصر ذاتية مصطنعة، مقابل جهات أخرى لا توافقها بالغاية والأهداف.
- النظر بمنظار واحد، دون الأخذ بمعطيات وأطروحات الآخرين الإصلاحية والتوعوية لوضع خطة مدروسة على أكثر من صعيد، مما يجعلهم لم يشعروا أنهم قوة واحدة متماسكة، لها مشروعها الفكري التربوي والإعلامي، الذي ينبع منه حس الجماعة، حيث تخرج عن أشكال العصب والرتابة المقيتة، ومن ثم نحن بحاجة إلى نماذج رسالية تتعايش مع متطلبات الجميع النهضوية بجدارة عالية.
- التكاتف العنصري حول أحد الزعماء أو القادة بدون وعي وقاسم مشترك بين الجميع، بحيث يمنح الأطراف كافة إمكانية صنع القرار على أساس رأي الأغلبية مهما كان إنتماؤهم الفكري أو المذهبي.

وغيرها من المحاور المتعددة التي تسبب الضعف والترهل الإجتماعي، والتي تؤدي إلى إفشاء حالات التشتت الإنساني، والتي بدورها تعمل على صدع معايير الأهداف والمعتقدات التي تربط بين صفوف المسلمين، ومن ثم تقضي على الروح النهضوية التي تنطلق في مجال تحرير الذات من القيود القهرية أزاء تهاون واستبداد الحكام من جهة، وما

بين عدم إجحاف مبادراتهم في تحمل المسؤولية في التغيير وصناعة الوعي، من خلال إعطائهم الفرص في الأخذ بأسباب القوة في الإنخراط في مختلف المجالات من جهة أخرى. وإن هذه الذات تكون أكثر فاعلية بواسطة التوكل الإلهي والثبات الإيماني ضمن الخطوط التي حدّدها الشارع المقدس، بعزم من ضمائر حية تسعى إلى ثبات الوجود والقدرة على التغيير الذاتي الإنساني. إن أغلبية هذه المحاور السلبية التي تتعامل وفق أسس متعددة الأوجه والغايات، غالباً ما تصدر ممن يلجأون إلى حب الرئاسة والتسلط الدنيوي الذي يسعون جاهدين لإصدار الأحكام، وتلقين الرعية بالأوامر والنواهي، دون النظر إلى آرائهم ومتطلباتهم المسلوبة، وغيرها من الأسباب المتسلطة، والتي تُعتبر من المؤشرات لتي تنخب وتفكك قواعد التكامل الإنساني، بل هي ذئاباً شرسة تنهش في جسد الوحدة الإنسانية والإسلامية.

وهذا ما نوّه إليه الحبيب محمد صلى الله عليه وآله حيث قال: ((توشك الأمم أن تتداعى عليكم، كما تداعى الأكَلَة إلى قصعتها))، فقال قائل: (وهل نحن قلّة يومئذ؟)، قال: ((بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوّكم المهابة منكم، وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن))، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: ((حب الدنيا وكراهية الموت))[١٥٦].

وعنه صلى الله عليه وآله لأنس بن مالك لّما دخل عليه وهو نائم على حصير قد أثر في جنبه: ((أمعك أحد غيرك؟)) قلت: لا، قال: ((أعلم أنه قد اقترب أجلي وطال شوقي إلى لقاء ربي وإلى لقاء إخواني الأنبياء قبلي))، ثم قال: ((ليس أحبّ إليّ من الموت، وليس للمؤمن راحة دون لقاء الله))، ثم بكى، قلت: لِمَ تبكي؟ قال: ((وكيف لا أبكي وأنا أعلم ما ينزل بأمتي من بعدي))، قلت: وما ينزل بأمتك يا رسول الله؟ قال: ((الأهواء المختلفة، وقطيعة الرحم، وحب المال، وإظهار البِدَعْ))[١٥٧].

ومن سبل طرح الحلول والمقترحات لتلك الصفات الغالبة هو أن تستثمر من ميراث الشريعة السمحاء، ولاسيما السنّة النبوية الشريفة، حيث أكد الحبيب محمد صلى الله عليه وآله في عدة مواضع على قول في غاية الأهمية، قد يتطلع الإنسان إليه بصورة سطحية، ولكن حين يطبق في الواقع الإجتماعي والمعاملاتي نجد هناك تحولات جذرية في أساليب التعامل بين الناس، وهو قول الرسول صلى الله عليه وآله في عدة مواضع - في مجال التكاتف والعدالة الإنسانية - ((إنصاف

الناس من نفسك)). ما أرقاها من عبارة قدسية، حيث لو طبقها أي إنسان على نفسه ووضعها كشعار يتفاعل بمعانيه السامية في جميع المجالات لهانت على المجتمع أغرب القضايا السلبية إذا كان يريد رضا الله تعالى، وحرث الآخرة، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾[١٥٨].

عن الحسن بن محبوب عن هشام بن سالم عن زرارة عن حسن البزاز قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ((ألا أحدثك عن أشد ما فرض الله(عز وجل) على نفسك؟)) قلت بلى، قال: ((إنصاف الناس من نفسك، ومواساتك لأخيك، وذِكر الله في كل موطن))[١٥٩].

وعن أبي فضال عن علي بن عقبة، عن هارود أبي المنذر الكندي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((أشد الأعمال ثلاثة: إنصاف الناس من نفسك، حتى لا ترضى لها منهم شيء، ألا رضيت لم منها بمثله، ومواساتك الأخ في المال وذِكر الله على كل حال))[١٦٠].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((ثلاث، من أُتي بواحدة منهن، أوجب الله له الجنة، الإنفاق من إقتار، والبِشر لجميع العالم، والإنصاف من نفسه))[١٦١].

حيث أن كل حكم أو ردود أفعال أخرى من آثار سلبية - كالخداع والحقد والخيانة وغيرها - لو جسدها المسلم على نفسه، وحكم به على المقابل بما يرضي الله تعالى، لما كانت هذه النتائج المتفككة في مجتمعنا. فاعتبر الحبيب الرسول محمد صلى الله عليه وآله أن إنصاف الناس من النفس بأنه (سيد الأعمال)، ومن موجبات الجنة، وأشد الأعمال تأثيراً:

عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله سيد الأعمال إنصاف الناس من النفس، ومواساة الأخ في الله وذِكر الله(عز وجل) على كل حال))،[١٦٢] وغيرها من الصفات..

ومن موبقات العصر البارزة في أغلب المحافل هي:

كبح جماح الحريات الفكرية، وإرغام المقابل بالإقناع الجبري على حساب تسلط وطغيان أحدهما على الآخر، وخاصة في ميادين الجدال والحوار السياسي والعقائدي. وهذا - بحد ذاته - يعطل إرادة المجتمع الإنساني من حرية الفكر بصورة خاصة، والحرية الإنسانية بصورة عامة، مما يولد الإحباط الكيدي بين أغلب طبقات المجتمع وبتراكم الويلات

وكبت المطامح المرسومة، ومن هذه المعرقلات تُنتج تكتلات وتجمعات متمردة ضد أي مشروع تكاملي ورسالي.

فالإنسان مجهز ضمن تركيبه العضوي والنفسي بالإرادة، وهو لذلك يهوى الحرية، بل يعشقها، لأنها تعبير عملي عن امتلاكه لإرادته. وكما يسوء الإنسان أن يعطل أي جهاز من أجهزته العضوية عن العمل، يسوؤه - بطبيعة الحال - أن يُشل جهازه الإرادي بانتزاع الحرية منه.

وتُعدّ الحرية الفكرية من أهم الحريات العامة الأخرى، لأنها إذا قيدت ضعف مستوى التقدم نحو الإزدهار، واضمحلت معالم التطور الحضاري، وإن كبتها يؤدي إلى خنق العزيمة وتثبيط همتها التوعوية، وهذا الكبت المغلوب هو الآخر من مسببات الثورات والإنهيار التام في أرضية المجتمع الواحد.

فلابد من توفرها أو الفسح التام لآراء واقتراحات الآخرين المستقبلية، فقد جاء الإسلام بمفهوم أعمق لجميع الحريات.

أعلنها ثورة تحريرية كبرى للإنسان، وكأنها ليست ثورة على الأغلال والقيود بشكلها الظاهري فحسب، بل على جذورها النفسية والفكرية، وبهذا كفل للإنسان أرقى وأسمى أشكال الحرية التي ذاقها الإنسان على مر التأريخ"[١٦٣].

إن مبدأ العولمة الحديثة والفكر الغربي منحت للإنسان المعنى السطحي للحرية، لأنها لم تغرس ثبوتية الإعتقاد الراسخ في المباديء الإسلامية، ومن ثم تطبيق الحرية، ولم تعالج وتحرر المحتوى الداخلي للإنسان، لذلك نجدها تستسلم لعبودية الشهوات المقيتة، وبذلك نجدها ترضخ لأي مؤثرات.

لذلك نجد أن النهي عن محرّم من المحرّمات في الدول الغربية، أشدّ صعوبة وعناءً، حتى لو عُبّئت الطاقات، وذلك لعدم وجود الحرية الذاتية القرآنية التي تحرره من قيود الإستعباد والشهوات، لأنه تاهٍ فيها وأصبح عبداً لأصنام الشهوات واللذائذ.

كما أوصى ديننا الإسلامي الحنيف بحرية الحوار الفكري المكلّل بالأدلة البرهانية والتنحي عن الجدال العقيم، والذي يؤدي إلى إرغام الأطراف بصحة آرائه.

فالحوار الإسلامي بين الأديان - أو بين الثقافات الأخرى - هو مبدأ إنساني حيوي للتعارف والتواصل والسلام بين الناس لحل المشاكل والضغائن والتعصب وغيرها.. إن الله سبحانه وتعالى قد جعل جلالته مثلاً لنا، فقد حاور الملائكة حين أنكروا عليه أن يجعل لبني آدم خليفة في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦٤).

كما حاور (عز وجل) إبليس الذي أبى أن يسجد لآدم - كما أمره تعالى - واستجاب لطلبه بأن يؤجّله إلى يوم البعث: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (١٦٥).

كذلك حاور الله تعالى أنبياءه، مثل (إبراهيم، ونوح، وموسى، وعيسى..)، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، (١٦٦) وغيرها من الآيات الأخرى...

حتى يبيّن (عز وجل) للمؤمنين بأن لا يجادلوا أهل الديانات الأخرى إلا بالتي هي أحسن، كاليهود والنصارى وغيرهم ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. (١٦٧)

وقد جعل الله تعالى حرية إختيار أديانهم وشعائرهم، وجعل لكل رسول - عند بعثه إلى قومه - شرعة من الفرائض والسنن لو شاء سبحانه لجمعهم جميعاً على دين واد، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، (١٦٨) ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١٦٩).

وفي هذا الصدد يروى أن النبي محمد صلى الله عليه وآله عندما جاء وفد نجران المسيحي من اليمن

ليجادلوه في الدين الذي يبشر به تركهم يقيمون صلاتهم الخاصة في مسجده، عندما حان وقت صلاتهم، ولم يسمح لأصحابه بالتصدي لهم، ومنعهم من ذلك قائلاً: ((دعوهم يؤدون صلاتهم))[١٧٠].

فلابد من اتباع منهجيتنا المتمثلة في مبادئ ديننا الإسلامي السامي والمعارف الأصيلة المنبثقة من القرآن الكريم والعترة الطاهرة.

"إن من أخطر ما يقوّض ثقافتنا الإسلامية الأصيلة، وينخر في بنائها الرسالي هو الإنحراف المنهجي في طريقة تناول أفكارها ونظرياتها، وعرضها عن طريق إستعارة مناهج غربية.. ولعل من أبرز العوامل المسببة لذلك هو الإنبهار الثقافي بهذه المنهجيات الغربية التي غذيها مؤسسات الثقافة والإعلام العلمانية بشرائح المثقفين المتغربين"[١٧١].

وإن الفكر الذي أطلقه الفيلسوف الإنكليزي (جون لوك)[١٧٢] والفيلسوف الفرنسي (جان جاك روسو)[١٧٣] في العقد الإجتماعي، لم يأتوا بجديد أكثر مما جاء به الإسلام، فتعرضوا في مؤلفاتهم عن العلاقات الأخلاقية والإجتماعية وحقوق الإنسان واحترام كرامته، والمساواة بين المجتمع، وغيرها، وكل هذه الأمور رسّخ قواعدها ووضع أبجديتها ونظمها الدين الإسلامي الحنيف.

مواجهة الظواهر والممارسات الفكرية المستحدثة:

على المفكر - أو المنهج الفكري - أن يأخذ بحسبانه جميع ما يطرأ على المجتمع من صراعات وتحديات ثقافية وإجتماعية، فهو أداة من أدوات التغيير من أجل تحقيق أهدافه المنشودة، فعليه أن يكون مرناً، يحافظ على القيم والمباديء الإسلامية من جهة، ويستوعب التغيرات والتطورات الثقافية والإجتماعية للمجتمع من جهة أخرى، بحيث يتكيف معه وفق ضوابط ومعايير مدروسة، ويزوّد الناهضين وجميع طبقات المجتمع بالمهارات التنموية والتوعية الفكرية التي تجعل من أنفسهم وذواتهم عاملاً من عوامل التغيير الإجتماعي، وذلك عن طريق تنمية التفكير العلمي الناقد للبناء لكل ثغرات الضعف التركيبي بين طبقات المجتمع، ووضع العلاجات المثمرة لها، حتى يكونوا كالبناء المتين أمام أي هجمة شرسة تواجه دعامة مقوماتهم ومبادئهم من الشبهات والفتن المدبَّرة، وما شابه ذلك..

فعندما أشرقت شمس الإسلام الناصعة في مشارق الأرض ومغاربها لتنير وتثمر عدة أساسيات ومرتكزات أساسية على صعيد المجتمع وتماسكه، بعد أن أُغلقت جميع أبواب النعرات الجاهلية والأفكار الصنمية، ومن أهم تلك الركائز ووحدة الصف الإسلامي فلا تفرقة ولا إكراه في الدين ولا دفائن سوداء بين جميع أفراد المجمع الإسلامي عامة، فكيف بين أواسط المجتمع الواحد! حيث كثرت - في الآونة الأخيرة - أساليب هدامة من الذم والإنتقاد بين قادة وزعماء المذهب الواحد، دون دراسة وتحليل علمي في معرفة مسايرة الواقع الحقيقي الذي أحاط به جميعهم من دون وضع حدود أخلاقية موزونة، على اعتبار وجود مشتركات من وحدة المنطلق والأهداف التي تصبّ في وحدة العبادة والإنتماء الاعلامي والعقائدي، وإنما يكون الإختلاف في الإتجاهات النهضوية والمسارات الإجتهادية والفكرية ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[١٧٤].

فبعضهم يتابع المسار الثقافي في توطيد العلم والمعرفة، وبعضٌ جهادي ثوري ضد أي هجمة إستعمارية، وبعضٌ ينشر تعاليم ومباديء العقيدة في الأماكن النائية، فالجميع حلقات متصلة أحدها يكمل الآخر لصياغة مجتمع إنساني واعٍ ومتكامل.

وإن وضع فجوات وعقبات في طريقهم الإصلاحي، سوف يُشل وينخب جسد القاعدة الرصينة التي تسعى لتكاملها، حتى نشرق شمس الطلعة الرشيدة بنورها، بعد ما غيبها السحاب.

إن جميع المسلمين - في فرائضهم ونوافلهم - يتلون آية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ حيث جاء في القرآن الكريم ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾.[١٧٥]

فالحرص على كرامة الإنسان، والمساواة بين أفراد الجنس البشري، والقدرة على إحتواء التعددية في المجتمع الإسلامي، ووضع ضوابط الحرية ووسائل حمايتها، ذلك كله يمثل أبجدية النظام في الإسلام.

وأن تأخذ الحكمة والإتعاض من التأريخ الإسلامي بما يحمل من سلبيات وإيجابيات، حتى لا تتخلخل أواصر الوحدة الإسلامية، لأن الإسلام وضع حاجزاً كبيراً بين الإيمان بالله تعالى والإرتباط بالجاهلية، والتركيز على تجنب الخلافات الطائفية والعرقية التي تغذيها التحديات العنصرية الشرسة، والحدّ من توسع النزاعات المتفشية في الأوساط السياسية

والإجتماعية، لأن هذا النزاع يؤدي إلى وجود فجوات مقيتة في سلسلة الإختراق العدواني المرصود، وهذا ما تطرقت إليه الآية الكريمة: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(١٧٦).

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ لأن النزاع والفرقة أمام الأعداء يؤدي إلى الضعف وخور العزيمة، ونتيجة لهذا الضعف ذهاب هيبة المسلمين وقوتهم ووحدتهم.

"أما ذهاب الريح، فهو إشارة لطيفة إلى زوال القوة والعظمة، وعدم سير الأمور كما يرام، لأنّ حركة الريح فيما يرام توصل السفن إلى مقاصدها، ولما كانت الريح - في ذلك العصر - أهم قوة لتحريك السفن، فقد كانت ذات أهمية قصوى يومئذٍ"(١٧٧).

الخلاصة:

- ان الدين الاسلامي الحسيني. هو المعيار الامثل والثورة الكبرى للبشرية جمعاء في وفرة المنظومات الاخلاقية التربوية الناضجة التي تؤتي أُكلها كل حين، ففيه نماذج من درر ومعطيات اخلاقية متعددة شأنها ان ترفد وتماسك بين اواصر المجتمع الانساني.
- ان العلم اذا كان مصحوباً بالتفكر والتدبر، يكون باب من ابواب انفتاح التغيير والاصلاح حين تتجلى الآفاق المعرفية لمعرفة اغلب حقائق الامور.
- ان التشريع الحقوقي الاسلامي هو تفوق تنظيمي في موافقة رؤاه الفكرية والاجتماعية لحقوق الانسان الشاملة، حيث ان اغلب أسس ومقومات الشريعة الاسلامية هي تهدف الى الحفاظ على كرامة الانسان والمساواة بين افراد المجتمع بكافة اطيافه وتعدداته.
- يتطرق البحث الى ايجاز أبرز المقترحات المهمة الناجعة وفق منظور الشريعة الاسلامية للبشرية جمعاء لغرض التسلح والتحرز من كل المخططات الاستعمارية المدروسة التي تسعى الى صياغة افكار ومعتقدات جديدة دخيله على معطيات ومعالم ديننا الاسلامي الناصع.

- تعتبر افعال الانسان المحور الأساسي والموجه الرئيسي لحتمية ومصير حياته، وباستقامتها تساهم في توطيد ومتانة ومصير النسيج الاجتماعي اذا رفدت بالتغيير والتطوير البنّاء كما دلت عليه اغلب النصوص الاسلامية المقدسة.
- ان قوة ووعي الانسان الناتجة من معرفة السنن الالهية المباركة وحصانته العلمية المتينة، سوف تجعله قادراً على تقييم الأمور ومعرفة الحق وامتلاكه بالبصيرة الثاقبة التي تجده من مدلهمات الامور.
- ان مشروع الامام المهدي (ﷺ) مشروعاً عالمياً بل عنوان اصلاحي منجد لتحقيق طموح وأهداف اتجهت اليه البشرية بمختلف اديانها واطيافها أن تتهيأ وتتحلى بعدة صفات ومبادئ تمهد للظهور المهدوي المبارك الذي يحول دون بقاء الظلم والتعسف والاستبداد.
- توعية المجتمع العالمي لكافة أطيافه، وتوطيد تماسكه التربوي والأخلاقي الذي يمثل الوتد المتين لسمو خيمة الوحدة والتكاتف الإنساني للبشرية جمعاء.

هوامش البحث ومصادره

(١) القلم: ٤.

(٢) ظ: بحار الأنوار، للعلامة محمد باقر المجلسي، ج٦٨، ص٣٨٢؛ السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ج١، ص٧٥.

(٣) الأنبياء: ١٠٧.

(٤) سبأ: ٢٨.

(٥) التوبة: ١٢٨.

(٦) آل عمران: ١٥٩.

(٧) الأنعام: ٥٤.

(٨) آل عمران: ١٥٩.

(٩) التوبة: ١٢٨.

(١٠) ظ: تفسير المثل: ناصر مكارم الأخلاق، الشيرازي، ج٦، ٢٨٢-٢٨٣.

(١١) المصدر نفسه، ٢٨٣.

(١٢) المصدر نفسه، ٢٨٣؛ ظ: تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ج٨، ٣٠١-٣٠٣.
(١٣) ظ: كتاب العين: أحمد الفراهيدي، ج٣، ١١٦؛ مختار الصحاح: محمد بن عبد القادر، باب الحاء، ٧٧.
(١٤) ظ: التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي، ج٥، ٣٢٨؛ مجمع البيان: الشيخ الطوسي، ج٥، ١٤٩؛ الكشاف عن حقائق التنزيل، ج١، ٣٢٤.
(١٥) المعارج: ٦-٧.
(١٦) الكافي: محمد يعقوب الكليني، ج٢، باب العفو، ٧٥.
(١٧) وسائل الشيعة: محمد بن الحسن الحر العاماي، ج١٢، باب إستحباب العفو، ٨٢.
(١٨) الكافي: ج٢، باب حسن الخلق، ١٧.
(١٩) العنكبوت: ١٩.
(٢٠) جامع السعادات: الشيخ محمد مهدي النراقي، ج١، ٣٢.
(٢١) المصدر نفسه، ج١، ٣٢.
(٢٢) جنود العقل والجهل: الإمام الخميني، ٢٥٣.
(٢٣) العنكبوت:٤٣.
(٢٤) الزمر:٩.
(٢٥) فاطر:٢٨.
(٢٦) البقرة:٢٦٩.
(٢٧) الحج:٥٤.
(٢٨) سبأ:٦.
(٢٩) بحار الأنوار، ج١، ١٦٤.
(٣٠) المصدر نفسه، ج٦٤، ٧٧.
(٣١) الترغيب والتهذيب: الحافظ عبد العظيم المنذري، ج١، ٩٧.
(٣٢) بحار الأنوار، ج١، باب مذاكرة العلم ومجالسة العلماء،٥٧؛ وظ: جامع السعادات: النراقي، ٨٨.
(٣٣) المصدر نفسه، ج١، ١٧٧.
(٣٤) المصدر نفسه، ج١، ٢١٩.
(٣٥) المصدر نفسه، ج١، ٢٢٠.
(٣٦) المصدر نفسه، ج١، ١٧٧.
(٣٧) جامع السعادات، ج١، ١٢٤.
(٣٨) الروم:٨.
(٣٩) آل عمران:١٩١.
(٤٠) الرعد:٣.
(٤١) الأعراف:١٧٦.

(٤٢) الكافي: ج٢، كتاب فضل القرآن. ص٥٩٨.
(٤٣) بحار الأنوار، ج٢، باب ثواب الهداية والتعليم وفضلها وفضل العلماء، ٦٦.
(٤٤) بحار الأنوار، ج٢، باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه، ٤٢.
(٤٥) آل عمران: ١٩٥.
(٤٦) ظ: قصص القرآن الكريم: علي محمد دخيل، ٣٧٦-٣٩٠.
(٤٧) دقيانوس: هو ملك القصر الذي فيه أصحاب الكهف، وفي بعض الآثار أنه كان يعبد الأصنام، والظاهر أنه كان ذلك في الفترة الأولى من ملكه ثم تدرج بالكفر حتى ادّعى الربوبية، ولعل ذلك شأن جميع مدّعي الإلهية، فالشيطان يحاول أن يتدرج بالإنسان من سيء إلى أسوأ، وهذا شأنه مع الجميع. ظ: قصص القرآن الكريم: علي محمد دخيل، ٣٧٦.
(٤٨) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد، ج٢، ٣٢١.
(٤٩) المصدر نفسه، ٣٢١.
(٥٠) الحجرات: ١٣.
(٥١) النساء: ١٣٥.
(٥٢) المائدة: ٨.
(٥٣) التوبة: ٦.
(٥٤) الحجرات: ١٣.
(٥٥) النساء: ٩٢.
(٥٦) النحل: ٩٧.
(٥٧) الكهف: ٢٩.
(٥٨) الشعراء: ١٥١-١٥٢.
(٥٩) التكوير: ١-٩.
(٦٠) المائدة: ٣٢.
(٦١) التوبة: ٦.
(٦٢) الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين، ٤٦.
(٦٣) البؤس: بضم أوله: شدة الفقر.
(٦٤) الزمني: بفتح أوله: جمع زمن، وهو المصاب بالزمانة- بفتح الزاي- أي العاهة. ظ: نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ٧٥.
(٦٥) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد، ج١٧، ٨٦، ونهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣، ١٠٠.
(٦٦) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد، ج١٧، ٣٢؛ ظ: الإمام علي صوت العدالة الإنسانية: جورج جرداق، ٦١.

(٦٧) القمر: ١٥.
(٦٨) غرر الحكم ودور الكلم: القاضي أبي الفتح، ١٠.
(٦٩) كنز العمال: المتقي الهندي، ٩٢٣.
(٧٠) القصص: ٨٣.
(٧١) ميزان الحكمة: محمد الريشهري، م١، ٣٦.
(٧٢) بحر الأنوار: العلامة المجلسي، ج٢، ١٠٧.
(٧٣) وسائل الشيعة، ج١١، ٤٩.
(٧٤) الكافي، ج٢، باب الإنصاف والعدل، ٦٤٠.
(٧٥) البقرة: ١٦٥.
(٧٦) البقرة: ١٦٥-١٦٧.
(٧٧) بحار الأنوار، ج٨، ٣٦٣.
(٧٨) الكافي، ج٢، ١٤٦.
(٧٩) النجم:٣٩.
(٨٠) ق:١٨.
(٨١) الرعد:١١.
(٨٢) الأنفال:٥٣.
(٨٣) الرعد:١١.
(٨٤) ظ: لسان العرب: إبن منظور، ج١٣، ٢٢٥؛ والمعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، ٩٤٥؛ تهذيب اللغة: محمد الأزهري، ج٤، ٢٢٥، وغيرهم.
(٨٥) مجمع البيان: الفضل بن الحسن الطبرسي، ج٢، ٣٦٩.
(٨٦) الميزان: محمد حسن الطباطبائي، ج١٦، ١٨٠.
(٨٧) تفسير الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي، ج١٣، ٣٥٦.
(٨٨) القذة: هي ريشة السهم، غالباً تؤخذ من النسر والصقر بعد إعدادها لتركب على السهم.
(٨٩) كمال الدين وإتمام النعمة: الشيخ الصدوق، ج١، ٣٧٣، و٥٨٨، ٦٠٤.
(٩٠) الأمالي: الشيخ المفيد، ١٣٥.
(٩١) ميزان الحكمة: محمد الدهشري،ج٢، ١٠٣٦؛ ظ: المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٢، ٣١٢، ج٤، ٤٦٩؛ وقد ورد بتفاوت في عدة كتب، منها مجمع الزوائد: نور الدين الحافظ الهشمي، ج٩، ١٣٣؛ مسند أحمد بن حنبل، ج١، ١٦٠؛ درر السمطين: محمد بن يوسف الحنفي، ١٠٤.
(٩٢) كمال الدين وإتمام النعمة: الشيخ الصدوق، ج١، ٥٦، ١٨١.
(٩٣) كمال الدين وإتمام النعمة: الشيخ الصدوق، ج١، ٣٧٩.

(٩٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق، ج١، ٢١٨.
(٩٥) الأعراف: ٩٦.
(٩٦) تفسير الأمثل، ج١٢، ٥٥١.
(٩٧) الجن، ١٦-١٧.
(٩٨) ظ: تفسير الميزان: الطباطبائي، ج٢، ٤٦.
(٩٩) الأنفال: ٢٩.
(١٠٠) الشمس: ٧-٨.
(١٠١) الطلاق: ٢.
(١٠٢) الأنفال: ٢٩.
(١٠٣) ظ: ميزان الحكمة: الطباطبائي، ج٧، ٣٧٩.
(١٠٤) تفسير الأمثل: مكارم الشيرازي، ج٥، ٤٠٥.
(١٠٥) تفسير الأمثل: مكارم الشيرازي، ج٥، ٤٠٥-٤٠٦.
(١٠٦) آل عمران، ١٧٩.
(١٠٧) مجمع البيان: الطبرسي، ج٢، ٤٥٦-٤٥٧؛ تفسير القرطبي أبو عبد الله بن أحمد القرطبي، ج٤، ٢٨٨.
(١٠٨) المائدة: ١٥-١٦.
(١٠٩) البقرة: ٢١٤.
(١١٠) مجمع البيان: الشيخ الطبرسي، ج٢، ٦٨.
(١١١) الميزان: الطباطبائي، ج٢، ١٥٩.
(١١٢) المصدر نفسه.
(١١٣) ظ: تفسير الأمثل: ناصر الشيرازي، ج٢، ٩٥.
(١١٤) المصدر نفسه، ج٢، ٩٦.
(١١٥) ظ: تفسير مجمع البيان، ج٢، ٦٧-٦٨؛ تفسير الميزان، ج٢، ١٠٨، ١٦٦؛ تفسير الأمثل، ج٢، ٩٤-٩٧، ج١١، ٩١-٩٦.
(١١٦) تفسير الموضوعي للقرآن الكريم، السيد محمد باقر الحكيم، ٨٥.
(١١٧) المصدر نفسه، ٨٥.
(١١٨) الأحزاب: ٦٠.
(١١٩) تفسير القرطبي: ج١٤، ٢٤٥.
(١٢٠) تفسير الأمثل: ج١٣، ٣٥١.
(١٢١) المصدر السابق، ج١٣، ٣٥١-٣٥٣.
(١٢٢) سورة محمد:٧-١٠.

(١٢٣) تفسير الميزان، ج١٨، ٢٢٩.
(١٢٤) تفسير الميزان، ج١٨، ٢٩٩.
(١٢٥) سورة محمد، ٨-٩.
(١٢٦) مجمع البيان: الطوسي، ج٩، ١٦٤.
(١٢٧) يوسف: ١٠٩.
(١٢٨) الأعراف: ١٨٢-١٨٣.
(١٢٩) آل عمران: ١٣٣-١٣٦.
(١٣٠) الأعراف: ١٧٥-١٧٦.
(١٣١) ظ: الميزان: الطباطبائي، ج٨، ٣٣٣.
(١٣٢) نقلاً عن الميزان: الطباطبائي، ج٨، ٣٣٧.
(١٣٣) الأمثل، ج٥، ٢٩٤.
(١٣٤) الأمثل، ج٥، ٢٩٤.
(١٣٥) المصدر نفسه، ص٢٩٤.
(١٣٦) الأعراف: ١٧٦.
(١٣٧) الأعراف: ١٧٦.
(١٣٨) القصص: ٥-٦.
(١٣٩) شماسها: شمس الفرس، كان لا يمكن أحد من ظهره، ولا من الأسراج ولا من الأحجام ولا يكاد يستقر.
(١٤٠) الضروس: الناقة سيئة الخلق تعضّ حالبيها. ظ: تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي الحويزي، ج٥، ١١-١٥.
(١٤١) مجمع البيان: الطوسي، ج٧، ٤١٤٠؛ ظ: نهج البلاغة، الكلمات القصار، ٢٠٩.
(١٤٢) مجمع البيان، ج٧، ٤١٤٠
(١٤٣) بحار الأنوار، ج٥١، ٤٥٤؛ وظ: الغيبة: الشيخ محمد رضا الجعفري، ج١، ٢٠٨-٢٦١.
(١٤٤) ظ: الأمثل، ج١٢، ١٧٠-١٧١.
(١٤٥) القصص:٤.
(١٤٦) الحجة المنتظر(ﷺ) منّة الله على المستضعفين في الأرض: سيد صادق الشيرازي، ج٥، ١.
(١٤٧) بحث أصول المهدي(ﷺ): السيد محمد باقر الصدر، ج١، ٤٦.
(١٤٨) المصدر السابق، ج١، ٤٨.
(١٤٩) سيوسولوجية المنقذ: أحمد الصحاف، ١٢٤.
(١٥٠) التوبة: ٢٥.
(١٥١) تأريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري، ج٢، ١٦٧.
(١٥٢) ظ: تأريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق اليعقوبي، ج٢، ٦٢؛ السيرة النبوية: محمد بن هاشم الحميري، ج٤، ٦٤.

(١٥٣) تأريخ الطبري، ج٢، ١٦٧-١٢٠.
(١٥٤) الأمثل، ج٥، ٥٧١-٥٧٩.
(١٥٥) التوبة، ٢٦.
(١٥٦) ميزان الحكمة، ج١، ١١٠؛ وظ: سنن ابن داود: أبي داود سلمان السجستاني، م٢، ١٧٤.
(١٥٧) مستدرك المسائل: للميرزا حسين النوري الطبرسي، ج١٢، ٦٤، حديث١٣٥١٩.
(١٥٨) الشورى: ٢٠.
(١٥٩) وسائل الشيعة، ج١٥، باب وجوب اجتناب المحارم، ٢٥٥.
(١٦٠) المصدر السابق، ج١٥، ٢٥٥.
(١٦١) أصول الكافي: محمد يعقوب الكليني، ج٢، باب حسن البشر، ١٠٣.
(١٦٢) الكافي، ج٢، باب الإنصاف والعدل، ٨٩.
(١٦٣) ظ: الحرية في القرآن: محمد باقر الصدر، مجلة ن والقلم وما يسطرون، العدد الخامس ٢٠٠٦م، ٢٤.
(١٦٤) البقرة: ٣٠.
(١٦٥) ص: ٧٥-٨٠.
(١٦٦) البقرة: ٢٦٠.
(١٦٧) ص: ٧٥-٨٠.
(١٦٨) المائدة: ٤٨.
(١٦٩) يونس: ٩٩.
(١٧٠) ظ: تفسير الميزان، ج٩، ٢٥٣-٢٥٥؛ الأمثل، ج١٢، ٢٥٢؛ تأريخ العرب: محمد أسعد طلس، ج٤، ٢٥٧.
(١٧١) رسالتنا الإسلامية بين الأصالة والتغرب: فؤاد كاظم المقدادي، ٣.
(١٧٢) جون لوك هو فيلسوف عاش بين ١٦٣٢ و١٧٠٤، بالرغم من دعوته الشديدة إلى فصل الزمني عن الروحي، فإنه لم يطلب علمانية الدولة، ولم يتسامح مع الملحدين والكاثوليك، أهم مؤلفاته هو (محاولة في الفهم البشري)، ويُعد هذا الكتاب من أهم مصادر الإشراق الفكري الفرنسي في القرن الثامن عشر.
(١٧٣) جان جاك روسو: ولد في جنيف وعاش بين ١٧١٢-١٧٧٨/، وقضى عمره في فرنسا، نشر في ١٧٦٢م كتاب العقد الإجتماعي.
(١٧٤) يونس: ٩٩.
(١٧٥) يوسف: ١٠٨.
(١٧٦) الأنفال: ٤٦.
(١٧٧) تفسير الأمثل، ج٥، ٤٤٩-٤٥١.